

آيَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِ السَّيِّدِ أَرْحَمَ مِنْ رُوحِهِ

دراسة نقدية وتمحيص لأحاديثه



تحقيق وتقديم

أبو بكر محمد السرازمي

دار الأعلام



دار الإعتصام

٨ شارع حسين حجازى . ت ٣٥٥١٧٤٨ ص ب ٤٧٠ القاهرة
الرمز البريدى ١١٥١١ فاكسيميلى ٣٥٤٦٠٣١

للطبع والنشر والتوزيع

رسائل نادرة

مقارنة الأديان

آية الله

في خلق السيد المسيح من روحه

دراسة نقدية وتمحيص لأحاديثه

مناظرة بين :

يوسف صبري بك بن عبدالله الذي كان شماسا
ثم أسلم وحسن إسلامه وأصبح من خيرة
الداعين إلى الإسلام دين الله القويم بالحكمة
والموعظة الحسنة وبين رجال البطريركخانة
المصرية بالأقصر سنة ١٨٩٠ م

تحقيق وتقديم :

أبو بكر محمد الرزق

دار الأئمة

تقديم

نحمدك اللهم أن شرحت صدورنا للإسلام ، وشرعت لنا من الدين ما وصيت به رسلك الكرام . ووفقتنا لفهم رسالة خير الأنام . تلك الرسالة التي جاءت خاتمة للرسائل . وجامعة للمصالح والمنافع .

ونصلى ونسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين . القائل : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » وعلى آله وأصحابه يتابع الحكم . وهداة الأمم . أما بعد : فإن أعظم مافى الإسلام أنه دين العقل ، والحوار ، والبيان . وأنه يعتمد أول ما يعتمد فى حوار العقل على البرهان ، وتدبر قوله تعالى : ﴿ أم اتخذوا من دونه آلهة ، قل هاتوا برهانكم ﴾ [الأنبياء : ٢٤] .

ونجد القرآن الكريم فى تناول أخطر القضايا مثل قضية الوثنية . وقضية الشرك بالله يقول لخصومه ، ومعارضيه .. « هاتوا برهانكم ، هذا ذكر من معى ، وذكر من قبلى ، بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ﴾ [الأنبياء : ٢٤] .

وفى النزاع بين اليهودية ، والنصرانية ، والإسلام ، أيها أحق بقيادة العالم ، أيها أحق بأن ينتسب إلى الله ، تجد هذا الكلام فى سياق القرآن الكريم يدل على مناجاه . قال تعالى : ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة : ١٨] .

﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ﴾ [البقرة : ١١٣] .. ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ﴾ [البقرة : ١١١] .. ﴿ أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من

السماء والأرض إله مع الله ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴿ [النمل : ٦٤] .

بل في يوم الحساب تسمع قوله تعالى : ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون ، ونزعنا من كل أمة شهيداً ، فقلنا هاتوا برهانكم ، فاعلموا أن الحق لله ، وضلّ عنهم ماكانوا يفترون ﴾ .

وما أعظم ديننا - دين الإسلام الحنيف - الذى يقوم على ثقافة واسعة وعلم غزير ، وقدره هائلة - مدعومة بالحق الإلهى - على إقناع الخصوم ، بأن ديننا الحنيف لا يقوم - كما يخيل للبعض - على الغلبة بالقهر وحّد السيف أو الجبروت !!

ولو أمعنا النظر قليلاً لوجدنا أن الإسلام ليس دين الحوار الحر فقط ، بل الأهم من ذلك ، والأدعى للتقدير والنظر فيه أنه ليس غريباً عن الأديان السماوية جميعها ، بل هو أصل الأديان جميعاً وهو دين الله الأزلّى الأبدى الخالد ، الذى ابتدأ سلسلته أبو البشر آدم عليه السلام ، وختمه محمد عليه السلام . فكل دين سماوى صحيح ، هو الإسلام قال رب العزة جل وعلا : ٣ : ١٩ ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ .

فإبراهيم ، واسحق ، ويعقوب مسلمون ، ويشهد القرآن الكريم بذلك . قال جل ذكره : ٢ : ١٢٩ - ١٣٢ ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا ، وإنه فى الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ .

ويعقوب وبنو يعقوب أيضاً مسلمون . قال جل ذكره : ٢ : ١٣٣ ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى ، قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ﴾ .

ورب العزة جل وعلا يحكى لنا - ولمن سيأتى بعدنا إلى يوم الدين - فى القرآن الكريم - المعجزة الخالدة ما قال يوسف بن يعقوب عليهما

السلام حيث مكن الله له فى الأرض ، فيقول سبحانه : ١٢ : ١٠١ ﴿ رب قد آتيتنى من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات والأرض ، أنت وليى فى الدنيا والآخرة ، توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين ﴾ .

ونوح عليه السلام من قبل هؤلاء كان مسلما . قال تعالى : ١٠ : ٧٢ ﴿ فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله ، وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ .

وموسى - عليه السلام - وقومه : ١٠ : ٨٤ ، ٨٥ ﴿ وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ، فقالوا على الله توكلنا ، ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ﴾ ..

وعيسى - عليه السلام - والحواريون الذين آمنوا معه مسلمون . يقول رب العزة ٣ : ٥٢ ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ، آمنا بالله ، واشهد بأنا مسلمون ﴾ .

ويقول جل نكره فى سورة الأنعام : ٥ : ١١١ ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى ، قالوا آمنا واشهد بأنا مسلمون ﴾ .

● ● وبعد أن عرضنا لعظمة الإسلام فى أنه دين العقل ، والحوار المؤيد بالبرهان الصادق ، وأنه أيضا أصل الأديان السماوية بنصوص الكتاب المبين ، الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، نأتى لموضوع مناظرتنا التى نقدمها لقرائنا من المسلمين والمسيحيين على السواء ، حيث اشترك فى تلك المناظرة القيمة الشماس أيوب بك صبرى مع رجال البطريركخانة المصرية والتى بدأها بشرح قول المولى عز وجل : ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه ﴾ . وذلك بعد أن هداه الله وشرح صدره للإسلام ، وأصبح اسمه أيوب بك صبرى بن عبدالله .

وفى إيجاز شديد يحدثنا فضيلة الشيخ أحمد الشريف - أحد إصفائه - منشئ ومدير مجلة مكارم الأخلاق السعيدية ، عن فارس

تلك المناظرة ، والأمور التي دعت إليها ، وكيف هداه الله وشرح صدره للإسلام فيقول :

إن لنا صديقاً حميماً ، وأخاً في الله رحيماً ، هو حضرة الفاضل الألمعى ، والكامل اللوذعى ، أيوب صبرى بك ، أريد أن أنكر له أموراً تنكر ، وأحوالاً تؤثر ، ليعتبر بها من يعتبر ، ويتنكر بها من يتنكر ؛ وهو أنه نشأ في النصرانية ، عابداً تقياً على صغر سنه ، وحادثة عهده ، حتى دخل في الدور المهييء للاشتغال بالأمور المعاشية .

ولقد استخدمته الحكومة الخديوية ، في أشغالها التلغرافية ، وكان قبل ذلك بحاثاً في الأديان ، وخصوصاً الدين الإسلامى . ولما كان يجده في نفسه من التعلق في البحث عليه ، إلى أن وفقه الله ، لخير دين . وأسلم مختاراً بما ظهر له من الدلائل القاطعة على صدق رسالة السيد الكامل ، سيدنا محمد ﷺ ، وأخذ يكبر في العيون ويقوى ، باتباع الحق . ويحوز لدى الحكومة حسن الثقة به ، والاعتماد عليه ، حتى رفعت درجته ، وقلدته مفتشاً على تفتيش ببا . ومنحه الخديو - خديو مصر آنذاك - الرتبة الثانية الجليلة . وأحيل بعد ذلك إلى المعاش فتنفرغ للدين على صغر سنه ، وقابليته الكلية للاشتغال بأمور الحكومة الخديوية .

وصار له الحيز الأكبر في دائرة أهل الإسلام ببلدته ، وحسن أخلاقه ، وطيب سريره ، ومازال به الحال على الأخذ في استخراج الحقائق ، من عيون قلبه ، حتى ظهرت له بوارق العناية ، وأدخل في مقام الصديق .

وبينما هو في الأقصر - مقره آنذاك - ذهب يعزى أحد الناس في موت بعض أهله ، فقام أحد المسيحيين سائلاً : بعض المسلمين عن آية خلق الله للسيد المسيح من روحه ، وأخذ ينصت .. والمسئولون واقفون عند حد قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَابِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١) وتارة يجيبون بما ينفع ويشفى ، وأخرى يفضلون

(١) العنكبوت الآية رقم ٤٦ .

السكوت ، طرداً للعكس ، وخوفاً من اللبس ، كل ذلك وهو حفظه الله (١) لم يحر جواباً ، ولم ير التكلم فى مثل هذا الحال صواباً ، وبعد انقضاء التعزية من قبله ، أخذ فى مناظرة السائل : مرة تلو المرة ، حتى أفحم مناظره ومن عاونه !!

وكان نصر الله عظيماً ، حيث أن القارئ عندما يقرأ المناظرة المنشورة على الصفحات التالية .. سوف يجد ويلمس بنفسه ، أن السيد / أيوب صبرى بن عبدالله ، كان معاناً ومؤيداً من قبل الله ورسوله ، وذلك لما أظهره من حجج دامغة ، أنهكت قوى خصمه المسيحى - المعان من البطريركخانة ، المجندة لخدمته وإعداد الردود له - وقوض دعائم دعواه . التى حاول فيها إثبات البتوة للمسيح عليه السلام (٢) .

فالإسلام الحنيف لأنه دين الفطرة ، التى فطر الله الناس عليها ، يجد له مهاداً داخل كل نفس ، وصدى بعيد المدى لدى كل عقل حر ، حيث يعتمد على القول المبين ، والدليل الصادق الأمين .

● ● واللافت للنظر أن جو تلك المناظرة كان يسوده الاحترام المتبادل بين طرفى الحوار ، مع حرية الفكر والعقيدة ، وكان شعار الجميع قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ .

﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا ، وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ .

الفقير إلى عفو ربه
أبو بكر عبد الرازق

(١) المقصود : هو السيد / أيوب بك صبرى بن عبدالله ، فارس تلك المناظرة ، غفر الله لنا وله .

(٢) إلى هنا . كلام العلامة الفاضل رحمه الله الأستاذ / أحمد الشريف منشئ ومدير جريدة مكارم الأخلاق .

من الشك .. إلح اليقين !!

الحمد لله الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا . وأرسل نبيه الصادق الأمين ، بدين الحق ، وسنة الهدى ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين . سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فيقول راجى عفو الإله : أيوب صبرى بن عبدالله ، إننى نشأت فى النصرانية من رجل اسمه عبد الملك بن قرياقص . وكان والدى من أكابر الكتاب بالحكومة المصرية ، وتقلب فى جملة وظائف كتابية ، منها : رئاسة تحريرات مديرية الجيزة . وآخر العهد به ، الوقت الذى تعين فيه ، هو وأخ لى أكبر منى بحكمداية السودان بالرغم عنهما .

هذا وقد كنت منذ نشأتى حريصا على تأدية مراسم العبادة على ترتيب الكنيسة الارثوذكسية ، مع اعتناء والدى فى أمر تربيتى على المبادئ الفعالة فى التقدم ، وكنت حفظت غالب المزامير والابركسيس ، هذا ونحن مقيمون معه بالجيزة ، وأتممت حفظ المزامير ، والابركسيس ، والصلوات فى مدينة أسيوط ، من وقت انتقال والدى إليها فى سنة ١٢٧٠ هجرية كاتباً لاشغال ساكن الجنان الهامى باشا . وواظبت هناك على الذهاب إلى الكنيسة ، حتى صرت أخدم القداس — بوظيفة شماس — وتقربت من أهل الدين بحسن السير والسلوك ثم توجهت بإشارة والدى نحو الأب بطرس ، لتعلم اللغة اللاتينية بمدرسة دير النمساوية ، وأتردد يوميا للصلاة ، مع التلامذة بالكنيسة الكاثوليكية وسماع القداس ، وشاهدت من الأب بطرس المذكور تورعا وتهذيبا ، حتى أنه كان يكثر من ملاطفة التلاميذ ومباستطهم وإهدائهم بالتحف ، كصور القديسين ، وسبح صغيرة محلاة ، وقطع من القماش ذات ألوان مرسوم عليها صورة السيدة مريم ، تعرف عندهم بثوب العذراء . فكان هذا داعيا لأن أترك الكنيسة الأرثوذكسية وأتعلق بالكنيسة الكاثوليكية ، خصوصا وأنها فى غاية الاستعداد والنظافة ، وبريق حيطانها يأخذ باللباب الصغار .

بداية الشك !

ولقد كنت أعترف بالخطايا ، وأتناول القربان ، معتقدا أنه جسد المسيح ودمه ، حتى أننى من شغفى بتلك الكنيسة ، كثيرة الزخارف ، اتخذت دولابا كبيرا مثلها بالمنزل ، ورتبته ترتيبها ، واستحضرت إليه شمعدانات ، وكاسات ، وأوانى صغيرة كأوانى المذبح ، واتخذت المذبح كذلك من خشب ثمين ، وعملت الجهد فى إتقان كنيسة منزلية ، وصيرتها كأحسن ما يكون من الكنائس الكاثوليكية ، وجعلتها محل عبادتى واصطفيت زخارفى ، وقربت روحى إليها قربانا لاياعدنى عنها ؛ حتى فطن والدى لعملى ، وغضب من تعبدى هذا الذى كان مغايراً لأفكاره ، ثم غلب على أمرى ، وأخذنى إلى الديوان ، وكان وقتها قد انتقل إلى كاتب بقلم قضايا أسبوط وجرجا . فأخذت أنفكر كيف لا يرضى بأن أتعبد برأى هذه الكنيسة ؟! وما هذا التغاير فى الدين ؟! وما هذا الاختلاف ؟! ثم قوى جأشى على الاستفهام منه عن سبب هذا الاختلاف ! ففهمنى أن الكنيسة الكاثوليكية تعتقد أن فى المسيح طبيعتين ومشيئتين ، والأرثوذكسية تقول بمشيئة وطبيعة واحدة ؛ فأخذت هذه المسألة دوراً مهماً فى ذهنى وانشغلت بها حواسى ، وصرت أبحث وأسأل عنها من قسس الطائفتين ، فما اهتمت على شىء منها ، وما سمعت إلا أنها مما لا يتصورها العقل ، ولا يسلك طريقها الفكر .

ولقد كان والدى رجلاً غيوراً على معتقده ، حريصاً على أنى لا أشذ عنه ، فأراد أن يوجه أفكارى ، وينقل أمر بحوثى إلى الفكر فى الزواج ، وبالفعل : شرع فيه بهيئة تدخل على السرور والاتفات مع الاحتفاء بها . وعقد لى أنا وأخى الأكبر على ابنتى رجل من مشاهير أسبوط وخيارها ، اسمه : قلته أفندى سوس ، وأخذت الأفراح تعمل فى قلوبنا ، ووالدى لم يدع وسيلة إليها إلا صنعها ، وساعدته ميسرته وكثرة ماله على ذلك . فاستمرت الأفراح زهاء الثلاثين يوماً بلياليها ، واجتمع فيها عدد عديد من كبراء المديريتين أسبوط ، وجرجا وأعيانها .

إذا كان أصبعك منهم فاقطعه !!

ولما استقال والدى ، واختار مدينة الجيزة موطنًا ، انتقلنا معه ، حيث اشتغل بالتجارة فى أصناف الغلال وغيرها ، فعادتنى الفكرة فى أن أستمِر على حىي للكنيسة الكاثوليكية ، وكان الأب بطرس المتقدم ذكره ، رقى إلى رئاسة دير النمسا بمصر ، فأكثرَت من التردد عليه ، واختلج فى ضميرى أن أتوسط به فى الذهاب إلى روما لأنال وظيفة قسيس ، وأظهر هو إلّى مساعدته فى ذلك ، وإذا أنا متهىء للسفر بغير أن يعلم والدى ، وإذا به أخذ الخبر وأخذنى بالقوة القاهرة ، والحكومة ساعدته على ذلك ، ووكل أخى بى . وحفظه على حتى لا أفر ولا أتمكن من الهرب .

وبينما أنا جالس فى المنزل ، إذ سمعت جارة لنا قبطية ، تحذر أولادها من اللعب مع أولاد المسلمين ، وتقول لهم أن أبانا شنودة يقول : إذا كان أصبعك منهم فاقطعه وارمه . فخطر لى أن أسأل والدى عن ذلك ، وعن نبى المسلمين . فأخبرنى أن شنودة كان رجلا استشهد ! أما نبى المسلمين فكان رجلا عاقلا . فعنّ لى أن أبحث فى أنباء شنودة ! فلم أقف له على شىء فى الكتب المسيحية ! ثم طالعت قصص وأخبار النبى محمد ﷺ ...

توتيل القرآن الكريم بسبب الهداية !!

وفى أثناء ذلك صدر أمر محمد سعيد باشا والى مصر — آنذاك — بأن تنتخب كل مديرية ستة تلامذة لتعليمهم فن التلغراف بمدرسة رأس التين بالأسكندرية ، فانتخبت مع من انتخبتهم مديرية الجيزة ، ورتبت لنا الحكومة مائة قرش شهريا ، وقام والدى بالعائلة إلى السودان قهرا عنه ! ولما ظهر نجاحى عند الامتحان تعينت « تلغرافيا » بمحطة القبارى ، وأعطى إلى ماهية شهرية قدرها مائتا قرش مصرية . وبعد تنقل كثير عينت بأسبوط فى أوائل سنة ١٣٧٨ هـ بماهية شهرية قدرها أربعمائة قرش ، ثم حصل الاستغناء عنى فى أوائل سنة ١٣٧٩ هـ .

ولما تولى الخديو السابق اسماعيل باشا في رمضان من هذه السنة عينتنى الحكومة وكيلا لتلغراف محطة الروضة . كل ذلك وأنا منكب على البحث والتنقيب فى قضايا الديانة المسيحية !!

واجتمعت عندى كتب شتى فكان من صنف الانجيل نحو خمس نسخ من العتيقة والحديثة كل طبعة منها لا تضاهى الأخرى ، ومنها نسخة خالية من لفظ (يسوع) ومذكورة بدلها (عيسى) وبدل إيليا (الياس) وبدل يوحنا (يحيى) وبدل يونان (يونس) وهكذا باقى الأسماء حسبما جاء بها القرآن المجيد .

هذا هو الحق وغيره الباطل !!

وكلما سألتنا القسس عما نجده فيها من المبانيات يقولون كلام الله عميق لا يصل الفهم إلى معانيه . إلى أن ورد وارد الحق وخطر خاطر الصدق فى أن أسمع تلاوة القرآن العظيم ، فكنت كثيرا ما أقصد ذلك فى بيوت الأحباء الذين تتلى عندهم سوره الكريمة ، فكان يدخل فى أذنى بحالة لا أقدر أن أصفها ، ولا زلت مواظبا على ذلك أياماً ، أسمع فيها من التبشير والتحذير والمواعظ الحسنة ، والكلام البليغ ما يجعلنى أطرب وأرنح أعطافى فرحاً وسروراً ، وقلت فى نفسى هذا هو الحق وغيره الباطل ، ولا شك أن المتمسك به متمسك بحبل غير منفصم ، وأخذت من وقتها أنكر أفعال القسس ، وأفرغ الذهن مما داخل قلبى من هذه الاعتقادات الخرافية ، والترهات الخزعلانية ، إلى أن تحلم العقل ، بعد أن جلس طويلاً فى منصة البحث ، ووزن الحق بقسطاس الصدق ، وأظهرت حبى للإسلام لبعض صحبى ، فأشاروا على بالتأنى خوفاً من أن يتصدى إلى أحد ، ويقصد بى أذى ، وفى أوائل سنة ١٣٨١ هجرية انتقلت وكيلا لتلغراف أسيوط بمهية شهرية ستمائة قرش ، فتعلقت بصحبة المغفور له محمد راشد بك من أعضاء مجلس أسيوط وذلك لما كان عليه من العفة ودماثة الأخلاق والتفقه فى الدين ، وكان يرانى عليه الرحمة والرضوان كلما دخل على المكتب فى شغل شاغل ، بمطالعة سيرة النبى محمد عليه الصلاة والسلام ، وأخباره الصحيحة ، وأحاديثه الشريفة .

هل المسيح هو الله؟! أو ابن الله؟!

وهناك أظهرت له محبة الدين الاسلامي ، وأننى أريد إظهار أمر إسلامي ، فكان يتحاشى رحمه الله ذلك ، خيفة على من حوادث الزمان تلقاء هذا الإظهار المبرور ، ومع ذلك أخذ ييسر لى صحة الدين الإسلامى ، ويعضدنى على صحة معتقدى فيه ، وأخبرنى عليه الرحمة أنه كان رومى الأصل ، وكان شماساً مجتهداً فى العبادة ، وكان رئيس الكنيسة — التى كان هو شماساً بها — رجلاً مشهوراً بالعلم ، وأنه كان يحبه حباً شديداً وأنه سأله يوماً ما ، هل المسيح هو الله؟! أو ابن الله؟! قال فما جاوبنى إلا بلطم خدى ! فهربت إلى رئيس كنيسة أخرى ، بعيدة عن الكنيسة التى كنت شماساً بها وأخبرته الخبر ، فأخذ يلاطفنى ويطيب خاطرى ، وأخذنى عند زوجته وأولاده وأكرمنى إكراماً لامزيد عليه ، فمكثت على هذه الحال الطبية ثلاثة أشهر وهو يزيد فى إكرامى ، ويفدق على بإحسانه — هو وزوجته وأولاده — إلى أن اطمأن خاطرى ، واستأنست بعشيرته ، وظهرت له علائم حبي وإشارات صداقتى ، ثم أخبرنى يوماً ما — ونحن على المائدة نتناول الغداء — أنه سيرينى مابه أسراً ، ولما فرغنا من الطعام ، أخذ بيدي ، وأدخلنى « حجرة » من الداخل بعيدة عن رؤية البصر ، فإذا فيها قبة الصلاة ، وسجادة لطيفة ، وعمامة بيضاء وأداة تأدية الفروض الإسلامية .

وبعد أن تفرجت على تلك المُعدَّات الإسلامية انبهر عقلى ، وخصوصاً عندما صرح بأن الدين الإسلامى هو الدين الحق ، والصراط المستقيم ، وأنه قد اتخذ دينا . ثم أوصانى بكتمان أمره ، وقال لى إن أردت الإقامة معى فعلى الرحب والسعة ، ويزوجنى إحدى بناته ، قال : فإظهرت له العزم على السفر فودعنى بعد أن أعطانى ماأحتاج إليه أثناء السفر ، وأشار على بعدم إظهار إسلامى فى بلادى وبين أهلى وعشيرتى ، وأننى أسعى مع ذلك فى كشف حقيقة هذا الدين المتين . قال فقبلت نصيحته وقصدت القسطنطينية وبحثت فى الدين الإسلامى ، فإذا هو الدين الحق ، والصراط السوى ، فرحمه الله رحمة واسعة وأحسن مثواه .

هذا وقد قمت وكيلا لتلغراف الأقصر بماهية شهرية قدرها سبعمائة قرش ، وبين جوانحي نار تستعر بحب فتاة شغفها حبي ، وقد قضت أوقاتها في طلب الاقتران بي ، فصادف نداؤها التفاقى على أثر إنباتها الصريحة ، وتوبتها الصحيحة ، وليس في أقدار الله ما يجعل لكليل الذهن ، ضعيف الفكر ، وجها في اللوم والتنديد ، خصوصا وأن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين .

كناينا على صحة الإسلام ما يقبله العقل ويحكم به النقل :

أنعم بها والله من حادثة قوت العزم وقومت اعوجاج التردد بين حب الظهور والإخفاء ، ولا تقل أيها المعاند أنها السبب الوحيد ، فقد تشرب قلبي بحب النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، ودينه الصحيح من بحث طويل وتنقيب دقيق ، آناء الليل وأطراف النهار .

وعلى فرض أنها الحباله فنعمها هي . فقد كانت مفتاحا للخير ، مغلاقا للشر ، ولست بالذى دخل في أمر لم يعهد له صحة ، ويعرف له حقا ، فقد وضح لى الحق من عيون القلب ، والبحث ، فصرت بحمد الله مقتدرا على إقامة ألف دليل على صحة الدين الإسلامى ، وألف دليل على بطلان غيره ، ليس أصله — حاشا وكلا — وإنما الأمور الزائدة على ما يقبله العقل ويحكم به النقل .

ولما تم إظهار الإسلام الذى كمن حبه فى فؤادى ، وأشغل جميعى ، نفرت النفس ، وفارقت الأنس بهاته الغادة ، التى سلكت الحسن والجادة المعتادة ، وبنيت بأصل كريم ، وحسب عظيم ، والله الحمد والمنة ، فقد رزقنا بينات وبنين مابين محمد وأحمد ومصطفى حبا فى رسول الله ﷺ . وفى سنة ١٨٨٢ أفرنكية عينت مأمورا لإدارة أرمنت التابعة للدائرة السنية . وفى سنة ١٨٨٤ عينت وكيلا لتفتيش الفشن بماهية شهرية قدرها خمسة عشر جنيها مصريا ، ثم انتقلت إلى إدارة تفتيش الفيوم بعشرين جنيها مصريا ، ومنها إلى ملاحظة تفتيش أرمنت بثلاثين جنيها مصريا ،

وأحسن على مولاي الخديو الأكرم بالرتبة الثالثة الرفيعة ، ولما برهنا على استقامتنا وحسن سيرنا بأعمالنا عينت بالأمر الخديوى مفتشا على تفتيش بها بماهية شهرية خمسة وثلاثين جنيا مصرياً . وأحسن علينا بالرتبة الثانية الجليلة ، ولما اقتضى الحال تنقيص ماهية المفتش عن الخمسة والثلاثين جنيا مصرياً حولنا على المعاش ، واتخذنا الأقصر مستقراً ومقاماً ، وصرنا لاشغل لنا إلا الدين والذّب عنه بكل نفس أجود بها ، حبا في الله ، وحبا لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام .

ومما اتفق لى أن أحد المسيحيين الفطناء ، أخذ يسأل بعض المسلمين في مسائل يريد إفحامهم بها ، فأخذت أناظره ، وأرد عليه كلامه بما سيرد عليك في كتابتى التى افتخر بتسميتها « بهيجة التفرج بحقيقة السيد المسيح » وليعلم المطلعون أن العبارة التى أتى بها المناظر تحت عنوان « إيضاح عقائد أئمة المسيحيين » جواب البطريركخانة المصرية إذ المناظر أرسل لها مناظرى وأظهر لها عدم قدرته على الإجابة والله الحمد على إفحام الجميع بمنه وكرمه .

* * *

بهجة التفريح بحقيقة السيد المسيح

جناب المحب المحتشم : أبى مغاريويس :

بعد إهدائكم تسلماتي وتقديم احتراماتي فإن طلبكم من بعض السادة المسلمين تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ أَلقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ (١) . له احتمالان :

الأول : البحث بطريق التلاعب بالمعاني القرآنية ، وتغيير مفهومها إلى مايقوى ادعاءكم ألوهية المسيح .

الثاني : تشوفكم لمعرفة حقيقة المسيح لتكونوا كالسادة المسلمين في الاعتقاد . وعلى ماأنا عليه من قلة البضاعة أجييكم حتى ينتفى الأول . ويتضح الثاني . ولكم الخيار في الهداية أو البقاء على الغواية ، غير أنى أرجو الله أن يكون جوابى نافعا لمن يتدبره ، ويميت روح التعصب فيفوز بالسعادة الأبدية والنعيم السرمدى ، فإننى والله يحزننى أن أرى انكباب الكثيرين على زخرف الحياة الدنيا ، وترك البحث فيما يوصلهم لسعادتهم الأبدية إذ لاسعادة إلا سعادة الروح .

فقد قال المسيح : « لاتخافوا ممن يقتلون الجسد ، بل خافوا ممن يذهب بالروح ، وبالأخص المسيحيين ، فقد زادت فى قواهم الدينية روح التعصب ومُنِعُوا عن البحث حتى فى كتبهم لمعرفة طريق الحياة الأبدية ، التى ماأتى السيد المسيح عليه السلام إلا لارشاد الخلائق إليها على أنهم لو تركوا جانبا من انكبابهم على هذه الحياة الفانية للبحث فيما هو الأهم

(١) اسم السورة النساء الآية رقم ١٧١ .

للوصول به إلى النعيم السرمدي ، وغاصوا في معاني أقوال السيد المسيح لانكشف لهم منها مصداق تفسير هذه الآية الشريفة ، وهأنأ أتلو عليكم قول الله عز وجل : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ أَلقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خيراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا . لَنْ يَسْتَكْفِ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْفِ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ (١) . فصرح هذه الآية ظاهر باللوم على من يقولون بالتثليث ويدعون لله ولدا ، وإنما المراد بالروح في قوله تعالى : (وَرُوحٌ مِنْهُ) كما في الجلالين هي النفس الناطقة الانسانية ، والمضاف محذوف ، أى ذو روح منه ، وفي البيضاوى : (وَرُوحٌ مِنْهُ) أى وذو روح صدر منه ، لا بواسطة مايجرى مجرى الأصل والمادة ، أى وكما ورد ذلك في حق عيسى ورد كذلك في حق آدم قوله : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾ (٢) . وقوله تعالى في حقه أيضا : ﴿ فَأَذا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٣) . فقد أطلق تعالى على النفس الناطقة أنها روحه ، وورد كذلك في حق جبريل قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ (٤) .

فظهر أن معنى قوله وروح منه بعيد عن وهم من يتوهم فيه تبعض الإله ، وليس ذلك مقصوراً على القرآن فقد جاء في التوراة (٥) من كتاب حزقيال النبي قوله : في خطاب ألوف من الناس الذين أحياهم بمعجزة حزقيال : (فَأَعْطَى فِيكُمْ رُوحِي) فأطلق هنا أيضا على الأنفس الناطقة الإنسانية أنها روحه ، ولو قيل أن المعنى غير ذلك وتوهم التبعض أو نحوه للزم أن يقال بالوهية هؤلاء الألوف ولا قائل به ، وهذه أقوال السيد المسيح في خطاب الله كما في (٦) انجيل يوحنا : (وهذه هي الحياة الأبدية أن

(٢) سورة السجدة الآية رقم ٩ .

(٤) سورة مريم الآية رقم ١٧ .

(٦) الآية ٣ من الباب ١٧ .

(١) سورة النساء الآية رقم ١٧٢ .

(٣) سورة الحجر الآية رقم ٢٩ .

(٥) الآية ١٤ من الباب ٣٧ .

يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته) وليس يخفى أن المرسل هو غير المرسل ولا مشاحة فى أن قوله هذا هو عين معنى تفسير الآية الشريفة القرآنية القاضية بلزوم الإقرار لله تعالى بالوحدانية ، وللسيد عيسى وجميع الأنبياء بالرسالة ، وأنه لا طريق موصلة للحياة الأبدية غير معرفة الإله الحقيقي وحده ، والإيمان بأن عيسى رسوله وقوله فى (١) إنجيل مرقس : (فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا إسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد إلى آخر قوله للسائل لست بعيدا عن ملكوت الله) فهذه النصوص وأمثالها المشحونة بها الأناجيل واضحة غاية الوضوح بأن أول وصاياه هى الإقرار لله تعالى بالوحدانية ، وله بالرسالة كما ورد بذلك القرآن المجيد بأعظم وأجلى بيان ، ولم يتخلل أعماله وأقواله الجليلة أدنى شئ مما نسب إليه من الألوهية ؛ بل الذى ثبت عنه بالأناجيل هو الزهد والعفة والقيام بخالص العبودية لمولاه إلى أن رفعه الله ، وقد قال متى فى إنجيله : (ونادى يسوع بصوت عظيم وقال ياأبتاه فى يديك استودع روحى) وفى ذلك الوقت الذى فارقت فيه الروح لم يكن هناك مايدعوه لعدم التصريح بحقيقة العقيدة اللازم الخلق اعتقادها فيه ، إن كان لصريح أقواله باطن من جهة الألوهية كما يقولون .

أما من يتوهم بأن قوله ياأبتاه وإطلاق لفظة ابن الله عليه يؤخذ منه نسبة الأبوة أو البنوة الحقيقية فقد فارق الصواب ، بل وأدخل على حقيقة معانى أقوال السيد المسيح تأويلا غير مايفيده صريحها . ولعمر الحق أن هذا الأمر عظيم ، لأنه فضلا عن معارضة هذه الألفاظ ، بإطلاق لفظة الأبوة والبنوة على الصالحين والصالحين كما سيأتى ، وبإطلاق لفظه ابن الإنسان ، وابن داود عليه فإنه واضح جلتى لكل من يعقل . أنها لفظة مجازية لا حقيقية لأن معناها الحقيقى باتفاق لغة العالم أجمع . وأهل العلم خصوصا . هو من تولد من نطفة الأيوين . وهذا محال فى حق الله ، ومن كان له أقل تأمل فى أقوال السيد المسيح عليه السلام ظهر له حقيقة معنى هذه اللفظة ،

(١) الآية ٢٩ من الباب الثانى عشر .

وأنه لا يقصد بها إلا الأبوة والبنوة المجازية ، كما في قوله عليه السلام في الباب الخامس من انجيل متى : (طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون) وقوله : (وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا لمبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسبونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات) فأطلق على صانعي السلام والصلح لفظ أبناء الله .

وبقوله : لليهود أيضا في الباب الثامن من انجيل يوحنا : (أنتم تعملون أعمال أبيكم فقالوا له إننا لم نولد من زنى ، لنا أب واحد وهو الله ٤٢ فقال لهم يسوع لو كان أبوكم الله لكنكم تحبونى إلخ ٤٤ أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا .. إلخ) فأطلق على صانعي الخطايا لفظ أبناء إبليس ، وظاهر أن إبليس ليس أبا لهم بالمعنى الحقيقى ، كما أن الله ليس أبا لهم بهذا المعنى ، فلا بد من الحمل على المعنى المجازى ، وبالجمله . فالأمر واضح بغاية التوير والصراحة في عدة مواضع بالأنجيل ، وبجمله أخبار ونبوات بالتوراة تنادى من يهيمه البحث لمعرفة طريق النعم الأخرى الذى لا يفنى ، ومن ينكر معرفة مواضعه ويريد الاطلاع فعليه الكتاب وعلينا البيان هذا .

وحيث الغرض من تبيان ذلك لحضرتكم ماهو إلا مجرد إيضاح الواقع ؟! ، ولا يتخلل ذلك أدنى قصد غير بذل صرافة الود والحبه ، فإن منحتهم هذه الرقعة دقيق أنظاركم المجردة عن غير نصرة الحق ، وكشف الله لكم فيها الحقيقة ، يكن لنا بذلك تمام البشرى ، بتوفيقنا وإياكم لاجتناب مايبعدنا عن الدخول في ملكوت الله ، كما نهانا السيد المسيح عن ذلك بقوله : في إصحاح متى السابع : (ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات بل الذى يفعل إرادة أبى إلى أن قال فحيثذ أصرح لهم بأنى لم أعرفكم قط اذهبوا عنى يافاعلى الإثم) ولا يخفى أنه لم يدعه أحد من أهل الإسلام ييارب أصلا بل أنهم عرفوه وآمنوا به كما ينبغى أن يعرف ، ويؤمن به اتباعا لارشاده عليه السلام ، بأن الإيمان بتوحيد الله ورسالته هو طريق الحياة الأبدية وعملا بقول الله تعالى على لسان أشعيا النبى في التوراة : (هو ذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به

نفسى إنخ) ولا ريب أن العبد المختار الموعود بالتعزيد من معضد غيره ، قطعاً لا يكون إلهاً ، بل عبداً صرفاً اختاره الإله رسولا ووعده بالنصر على أعدائه ، وهنا يحق لذكى فطنتكم أن تقاسمنا العجب على رغم من يدعى اقتدار اليهود الاخساء على قتله وصلبه مع ما فى ذلك من خلف الوعد الذى وعده الله إياه بتعزيده ، وإلا فلا وجه لمن يزعم ذلك . إلا أن يقول بعدم انطباق هذه النبوة ، وهذا الوعد عليه (١) .

والحق أن الحكم نافذ فينا ولا راد لقضاء الله . وإلا فبأى موضع من التوراة أو الانجيل تصریح بما يقوله المتقولون بأن السيد المسيح كان يخفى أمر الألوهية عن اليهود أو الشيطان . وأى ذوق يسلم هذا مع اليقين بأنه مأتى عليه السلام إلا للارشاد على طريق النجاة التى لا يناسب كماله السكوت على أشياء توجب التمويه أو الارتياح فيها .

هذا وإن رأيتم أهمية لزوم البحث لزيادة كشف الحقائق عن طريق الحياة الأبدية التى ماكانت هذه الدار الفانية إلا مزرعة لها وأردتم زيادة إفصاح عن أى أمر من هذه المواضع . فيسرنا الغاية أن نجيب محبتكم عنه بكل استعداد وإلا فالله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

أيوب صبرى

٦ فبراير سنة ١٩٩٠ م

(١) يرجع إلى فرية صلب المسيح المنشورة فى آخر هذا الكتاب ..

ردّ البطريركخانة زائد الأمور غموضاً !!

عزّتلو أفندم أيوب بك صبرى :

تشرفنا بإفادة حضرتكم المشتملة على النصحية من جهة رفض حب الجاه والزخارف الدنيوية والانعطاف إلى مايؤدى إلى الحياة الأبدية ، ثم أوردتم تفسير آيات قرآنية أردتم أن تتمسك بها فى جهة المسيح ونعترف بأنه رسول الله لا إله .

فأولا عما أوردتموه من القرآن الشريف وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ﴾ إلى قوله ﴿ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ فنقول إنه حقيقى أن المسيح مولود من مريم^(١) ومرسل من الله تمام مقاصد إلهية

(١) أفضل أن أروى لإبنتي النص القرآنى ..

●● فى المناظرة القيمة التى دارت بين الشيخ أحمد ديدات عالم علم مقارنة الأديان ، وبين القس الأمريكى سواجارت التى اتسمت بروح المودة والاحترام المتبادل .. كان هناك سؤال موجه للشيخ أحمد ديدات حول ولادة السيد المسيح . يقول السؤال : « ... لقد قلت : إن الإسلام يؤمن بأن المسيح ولد من عذراء ، غير أنك قلت : إن الله لم يلد ولم يولد ، وانجيل لوقا الاصحاح الأول العدد ٣٤ والعدد ٣٥ يشرح ولادة المسيح على أن الروح القدس قد غشى مريم بقدرة العلي ، وحلّ عليها . كيف تفسّر هذا ؟! » .

فأجاب الشيخ ديدات بقوله :

« لقد رأيتم أن الأخ سواجارت أراد أن يوحى خلال حديثه بأن القرآن مجرد نسخة متحلة من القصص الموجودة فى الانجيل ، والآن اسمحوالى أن أعطى هذا المثال . وهو أن المقارنة بين ماورد فى كتبكم ، وما ورد فى القرآن الكريم عن ميلاد عيسى عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران الآية ٤٣ وما بعدها] أى أن الله سبحانه وتعالى اختارك وطهرك مفضلاً إياك على النساء من كل الأمم . وهكذا .. فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يتحدث عن هذا التكريم والتشريف الذى خصها به الله : ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي ﴾ أى يا مريم أخلصى لربك وحده العبادة والطاعة . ﴿ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ الساجدين ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ أى أن ذلك من الأمور غير =

= المرتبة التي لم تكن تعلمها ، والتي نخبك بها بواسطة الوحي . فأنت يا محمد ﴿ ما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم ، أيهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ ولن أقص عليكم بقية التفاصيل التي أتركها ليلية الغد إن شاء الله ..

ثم تستطرد الآيات القرآنية : ﴿ يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، وجيها في الدنيا والآخرة ، ومن المقربين ﴾ أي أنه سوف يكون ضمن المقربين إلى الله تعالى ، لكن المسيحيين يقولون : إنه سوف يجلس على يمين الله . نحن المسلمين نقول : إنه من المقربين — قربا ليس ماديا أو مكانيا ؛ بل روحيا لقدره ومنزلته : ﴿ ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ﴾ وعندما تلقت مريم هذه البشرى الطيبة عن ولادة ابنها المقدس تساءلت : « قالت ربي أي يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ﴾ أي أنها تساءلت وقالت : يا إلهي كيف يتسنى لي أن ألد ، وأنا لم يمسن بشر ؟! حينئذ رد عليها الملك : ﴿ قال كذلك الله يخلق ما يشاء ﴾ وحتى هذا . فالله يخلق ما يشاء . ﴿ إذا قضى أمراً ﴾ أي إذا قضى فعلاً ﴿ فإنما يقول له كن فيكون ﴾ أي أنه إذا أراد شيئا ، فإنه بمجرد أن يقول له : كن فإنه يكون . هذا هو مفهوم المسلمين عن ولادة عيسى . فالله قادر على خلق عيسى بدون أب من البشر كلمح البصر . وهو قادر — لو شاء — على خلق مليون شخص مثل عيسى بدون أب أو أم كلمح البصر ، مثلما خلق آدم بدون أب وأم ، وحواء بدون أم !!

ولنقارن هذا المفهوم بما ورد في الانجيل .. فلقد دار حديث بيني وبين « القس سنكر » رئيس جمعية الانجيل في : « جهان اسبرج » كنت قد ذهبت لشراء نسخته الاندونيسية من الانجيل . وحين رأى هذه الصيغة الغريبة ، وهذه اللحية ، واهتمامي بالأناجيل ، دعاني لتناول الشاي ، فشرحت له الأمر ، وكان غريبا وجديداً عليه أن يعرف أنني أتحدث من كتابي : — القرآن — فقال لي : إن هذا هو والانجيل يدوان وكأنهما نفس الشيء . فقلت له : نعم في الظاهر ، فإن كلا منا يحاول أن يقول نفس الشيء : إن عيسى قد خلق بمعجزة خاصة . ولكنك عندما تمحصهما تجد أن الفرق بين القرآن والانجيل كالفرق بين الطباشير والجبن ، لست أدري إن كان الأمريكيون يفهمون هذا التعبير ، فالكنديون لا يفهمونه لأنهم لم يعرفوا الطباشير ، والطباشير والجبن شيان مختلفان تماماً . لم يتفقا سوى في اللون فقط ! .

— القرآن الكريم يقرر : إذا أراد الله أن يخلق فإنما يقول للشيء : كن ، فيكون . أما الانجيل فيقول حول نفس السؤال : « كيف يحدث ذلك ؟! ولست أعرف رجلاً !! » بالمعنى الجنسي للمعرفة . يقول الانجيل : « الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تغشاك وتظلك » هذا التناول يشجع الملحدين على تحديكم =

كما قال هو في إنجيل يوحنا (إن الأب أرسلني) بيد أن المعنى في قوله كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه هو اعتقادنا نحن أن الله واحد في ثلاثة أقانيم^(١) ذات ونطق وروح أعنى الله حى ناطق ، والقرآن هاهو مثبت ذلك أيضا حيث أوضح الله ، وكلمته ، وروحه ، ولم يقل عن المسيح أنه كلمة من ضمن كلامه ، لأنه لو كان ذلك لكان يقال أنه كلمة منه كما قال « وروح منه » لكنه قال : إنه كلمة الله كاعتقادنا نحن المسيحيين بالتام . ومن المعلوم أن كلمة الله لا تنفصل عنه ككلامنا ، وأن السادة المسلمين يقولون أن الله غنى عن التكلم ، إذ أنه لا يتكلم مثلنا ، ورسوله نوع ، وكلمته نوع ، وأما قوله : ولا تقولوا ثلاثة فمعناه لا تقولوا ثلاثة آلهة ، بل واحد كما أنا نعتقد أن الله واحد ، وقوله سبحانه أن يكون له ولد . فنحن أيضا لا نعتقد أن له ولد ! كولادة بشرية . لأن الولد ينفصل عن أبيه ، بل نعتقد أن نطقه الصادر منه المتحد به يدعى ابنه كما قال الملاك جبريل للعدراء مريم : « إن المولود منك قدوس وابن الله يدعى » وبهذا القول ثبت أنه قدوس ، وأنه يدعى ابن الله وهذا مطابق لقول النبي : « بكلمة الله خلقت السموات وبروح منه كل قواتها » وهذا الوحي يثبت ذاته وكلمته وروحه ، ومن المعلوم أن هذه الأقانيم هي خواص الله الرئيسية ، وبدون هذه الأقانيم الثلاثة لا يكون إلهها تاما حاشاه عن ذلك .

= إذ كيف يحل الروح القدس فوق مريم ؟ وكيف يغشاها العلي القدير مثلما يفعل الرجل مع زوجته ؟ كيف ؟ أبداً . ليس هذا هو المقصود . المشكلة في اللغة القرآنية : هي : إذا قضى الله أمراً فإنما يقول له : كن . فيكون . أما لغة الانجيل فهي لغة دنيوية .

ثم سألت : « القس سنكر » من بين روايتين . أيهما تفضل أن تقص على ابنتك ؟ الرواية القرآنية عن ميلاد عيسى ؟ أم الرواية الإنجيلية ؟ وصدقوني . لقد طأطأ رأسه في خجل ، وقال : « إني أفضل أن أروى النص القرآني لابنتي » انتهى .

(١) « الأتوم » هو الصفة عندهم : « أى النصارى » ويزعمون أن الأب ، والإبن ، وروح القدس ثلاثة أقانيم لله !! تبارك الله جل جلاله وتعالى عما يصفون .

أما عن الروح وقولكم فيه إنه كباقي حلول الروح في بعض البشر فإن إرسال الروح لمريم هو لأجل تطهيرها لقبول الكلمة الإلهية ومن يتأمل في ولادة المسيح حالا فإنه يقر بألوهيته ، فإن حمل العذراء به بدون طبيعة بشرية ، مع وجود الرجال والنساء ، أثبت أن الروح القدس طهرها ، والكلمة الإلهية خلقت جسدا كاملا بنفس واتحدت به باتحادها بالذات والروح ، وهذا فهمنا حسب ضعف عقولنا .

وقول المسيح : أنى وأبيكم وإلهي وإلهكم وأمثال ذلك هو من خصائص الناسوتية التي اتخذها واتحد بها . وهذا لا ينفي الجوهر الأصلي أى اللاهوتية كما أننا إذا عملنا قياسا تشبيها وهو أن واحدا من الملوك يقول لرعاياه أنتم أخوتي وآبائي آباؤكم فليس بتلك الألفاظ ينزل عن سدة ملكه ويتجرد عن الملك بل إن ذلك يكون منه من نوع تواضع أو سياسة أو إنسانية مع كونه لا يزال ملكا عليهم وعلى كل حال فإن الانسانية نوع والمملكة نوع آخر وكذلك اللاهوت نوع والناسوت نوع .

أما حقيقة إيماننا نحن النصارى فإن الله لما خلق آدم وحواء وأسكنهما الفردوس وأمرهما أن لا يأكلا من الشجرة وأغراها الشيطان وخالفا الوصية وأكلا منها وصار الشيطان له نفوذ عليهما فطردهما الله من الفردوس ، ووكل بهما ملاكا بسيف من نار يحرسهما ، ومع كون الأحكام البشرية قاضية بأن القصاص يخص الفاعل نفسه فإن هايل بن آدم الذى كان مقبولا عند الله لا يسمح له بدخول الفردوس ، ولا لغيره من نسل آدم المقبولين لديه ، فخطأ آدم وحواء لم يحق بهما وحدهما فقط ، بل حاق بالجنس البشرى نسلهما جميعه ، وقد كان الله رسم تقديم الذبائح الحيوانية كفارة عن الخطايا ، لكن لما كانت خطيئة العالم جميعه لا يمكن التكفير عنها بذبيحة حيوانية ، فأراد الله برحمته تخلص الجنس البشرى منها ، فأرسل كلمته واتخذها جسدا بشريا في عذراء مخطومة ، بعد تطهيرها بالروح القدس ، وسمح بصلب هذا الجسد الإنساني وإهاتته ، كفارة عن خطأ ذلك الجنس ، لكي تأخذ هذه البشرية التي أخطأت القصاص في الجسد المتحد بالكلمة الإلهية ، وتفتدى وتخلص من خطئها .

وأيضاً نظراً لخلول اللاهوت بها ترتقى وتستحق العودة إلى فردوسه والتمتع بنوره ، وقد كان وتم الخلاص في يوم صلبه ، إذ قال المسيح للص الذي آمن به أنت اليوم تكون معي في الفردوس ، وقد أنبأ عن ذلك الأنبياء ، وأشعيا العظيم قال عن ذلك في إصحاح ٥٢ « يقينا أنه احتمل أمراضنا وأوجاعنا ونحن حسبناه كابرص ومضروباً من الله فأما هو جرح لأجل آثامنا ، مستحق لأجل رجائنا ، تأديب سلامنا عليه وبشدخته شفيئنا نحن ، وقالوا أنه حسب مع اللصوص وعن بيعه بثلاثين فضة وعما حصل في صلبه وآلامه » . فأما عن كيفية إلهيته فليس التصديق بها كان عن اعتقادات أو تصورات عقلية ، بل هو بوحى إلهي صدر على لسان الأنبياء الكرام محفوظ بالتوراة التي بأيدي اليهود أعداء النصارى الذين يظنون أنهم ينتظرون مجيء المسيح الحقيقي ، ولم يكن التصديق بهذا النوع فقط بل بتجربة وامتحان في وقائع متعددة حصلت لم تنزل منظورة أمامنا لأجل تثبيت كلام الله ، كالتنبؤ بدوام خراب مدينة بابل ونيوى ، وقد مضى عليهما أكثر من ألفى سنة ، من وقت صدور هذا الوحي ، والخراب مستمر بهما إلى الآن ، وليس لهما بقايا إلا عندما تثبت أصل وجودهما ، وكالتنبؤ عن مصر بأنه لم يكن منها قائد (أى ملك يقود تجريدات عسكرية) ومن وقت النبوة للآن . لم يكن ملك مصرى الجنس ، وقال أن بعد غضب الرب عليها يرجع ويرضى عليها ، وهاهى متقدمة في العمار وأمثال ذلك .

وهنا نورد بعض براهين في الوحي الإلهي الصادر على لسان الأنبياء الكرام عن إلهية المسيح فنقول ، قال أشعيا النبي في إصحاح ٢ « أن من صهيون يخرج الناموس وكلمة الرب في أورشليم » وفي إصحاح ٩ « لأن صبيّاً ولد لنا وابناً أعطينا وصارت رياسته على منكبيه ويدعى اسمه عجيباً مشاوراً الله أباً العالم الآتى رئيس السلام . وفي إصحاح ٣٥ هالهمكم يأتى بانتقام الجزاء والله ذاته هو يأتى ويخلصكم ، حينئذ تفتح أعين العمى وتفتح آذان الصم حينئذ يقفز مثل الغزال الأعرج ويحل لسان البكم : (عجائب المسيح هذه مثبتة بالقرآن والإنجيل) وفي إصحاح ٤٠ « على جبل عال أصعد يامبشر صهيون ارفع صوتك بقوة ، يامبشر أورشليم فارفع لاتخف فقل لقرى يهوذا هالهمكم معاً الرب الإله يقبل بقوة ، وذراعه يتسلط

هاجرته معه وعمله قدامه ، هو مثل الراعى يرعى قطيعه بذراعه ، ويجمع الخراف » وفى إصحاح ٦٠ « قومى استبشرى ياأورشليم لأنه قد جاء نورك ، وكرامة الرب أشرقت عليك ، وقال هاهوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعى اسمه عما نويل الذى تفسيره (الله معنا) » وقال دانيال النبى فى إصحاح ٧ « كنت أرى فى رؤيا الليل واذمع سحاب السماء مثل ابن البشر جاء ووصل إلى قديم الأيام وقدموه إلى قدامه فأعطاه القدرة والكرامة والمملكة وجميع الشعوب والأسباط والألسنة يعبدونه أن قدرته قدرة أبدية التى لن تنزع ومملكته مملكة لن تنسى » وقال فى إصحاح ٩ « سبعين أسبوعا اقتصرت على شعبك ومدينتك المقدسة ليبطل التعدى وتغنى الخطيئة ويمحى الإثم ويجلب العدل الأبدى وتكمل الرؤيا والنبوة ويمسح قدوس القديسين ، فاعلم وادر أن من خروج الكلام أن تبني أيضا أورشليم ، إلى المسيح القائد سبعة أسابيع واثنين وستين أسبوعا تبني أيضا الأسوار والسوق فى ضيقة الأوقات ، وبعد الاثنين وستين أسبوعا يقتل المسيح ، ولا يكون شعبه الذى سينكره والمدينة والقدس يبددهم الشعب مع القائد الآتى وانقضائه خراب ، وبعد تمام القتال الخراب المقضى ويثبت العهد لكثيرين أسبوع واحد ، وفى نصف الأسبوع تبطل الذبيحة والقربان ويكون فى الهيكل رجسة الخراب ، وإلى الفناء والانقضاء يدوم الخراب .

فمن وقت هذا الوحى لحد مجيء المسيح والحوادث التى نجزت هو سنة ٤٩٠ . وكل ما ذكر قد تم وهيكل اليهود هدم وبطلت الذبائح وقال داود النبى فى المزمور الثانى : « الرب قال لى أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك » وفى مزمور ١١٠ « قال الرب لربى اجلس عن يمينى ، وقال فى البطن قبل كوكب الصبح ولدتك وقال ياأورشليم يأم الإنسان وإنسان حل فيها وهو العلى الذى أسسها ، وقال فى انجيل لوقا فى الاصحاح الأول عن قول الملاك جبرائيل إلى العذراء مريم « فهأنت تحبلين فى البطن وتلدين ابنا وتدعين اسمه يسوع ، هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه انقضاء فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لم أعرف رجلا فأجاب الملاك وقال لها روح القدس تحل عليك وقوة العلى تظلللك .. إلخ .

وقال في إنجيل يوحنا في الإصحاح الأول « في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، والله هو الكلمة كان هذا في البدء عند الله ، كل به كان وبغيره لم يكن شيء ماكان به كان الحياة والحياة هي نور الناس ، والكلمة صار جسد أوحل فينا ورأينا مجده مجدا » .

وفي إصحاح عدد ٢٤ « من رآني فقد رأى الأب » أما تؤمنون أني في الأب والأب هو في « الكلام الذي أتكلّم لكم أنا به ، لست أتكلّم به من عندي ، بل أبي الذي هو حال فيّ هو يفعل الأعمال ، وقال في إنجيل متى في إصحاح عدد ٢٨ « اذهبوا الآن وتلمذوا كل الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس وأمثال ذلك شهادات كثيرة » .

متك نجد برهاناً واضحاً على ادعاءاتكم ؟!

فإذا تأمل القارئ الفطن بدون تعصب إلى هذه البراهين الواضحة حقق يقينا أن الايمان بالهية المسيح هو بناء على شهادات صريحة فلنبحث الآن في القرآن الشريف ، لعلنا نجد برهاناً واضحاً فانظر أيها الحبيب إلى هذا البرهان العجيب المسجل في سورة المائدة قول الله تعالى للمسيح : « وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيها وتكون روحاً بإذني »^(١) . فأرنا من ابتداء آدم لحد الآن كم ملائكة وأنبياء ورسل وصالحين اختارهم الله وأجرى على أيديهم عجائب باهرة . فهل سمح لأحد منهم أن يخلق أرواحاً حاشا لله من ذلك ، إذ أن خاصيته تعالى التي تثبت لهيته هي الخلقة . وهذه الفاعلية لا تنسب مطلقاً لغيره لا لرؤساء ملائكة ، ولا أنبياء ، ولا رسل ، بل لله وحده لأنه متى كان هناك خالق غيره كان

(١) اسم السورة المائدة . رقم الآية ١١٠ ونص الآية الصحيح بلا تحريف يقول : ﴿ إذ قال الله يعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أبدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً ، وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني ، وتبرئ الأمكة والأبرص بإذني ، وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جنتهم باليانات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين ﴾ .

مثله ، أو شريكه ! نعم أن هناك أسماء من أسماء الله تنسب إلى آحاد الناس ، كقولك فلان كريم ، أو حليم ، وأمثال ذلك ، وأما خاصية الخلقة فلا تنسب لغير الله ، وانتسابها لغيره يكون من الكفر ، كما قال على لسان أنبيائه ، أنى أنا غيور منتقم ، وكرامتى لا أعطيها لغيرى ، وما دام أن الخالق سمح للسيد المسيح بالخلق فقد صار هو أقنوماً منه ، الذى هو كلمته ، أما قوله فى إنجيل يوحنا وهذه هى حياة الأبد ، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته ، فمعلوم أن الله أرسل كلمته ، وحقيقى أن المرسل غير المرسل كما قال أن الأب أرسلنى .

وأما مالملاحظ بكتاب حضرتكم من عدم مناسبة التصديق بصلب المسيح لكونه مؤيداً بالروح القدس فإننا لا نقدر أن ننكر ذلك لأنه مثبت فى التوراة والزبور والأربعة أناجيل . ولا يجب أن نستغرب ذلك لأن الملوك الكفرة عذبوا شهداء الله الذين كانوا مؤيدين بالروح القدس ، بكل أنواع التعذيبات الجهنمية !! كحريق وغلى وتقطيع وصلب وقطع الرؤوس وفى هذا كله كان الله راضياً مع أنه قادر على الانتقام فى لمح البصر ، وإذا كان الله راضياً بصلب جسد المسيح كفارة عن خطايا العالم ، فيجب علينا الإيمان بدون مناقشة .

ومن هذا القول استدللنا أنه تصور لحضرتكم حصول تغيير وتبديل فى التوراة والانجيل ، كما يتوهم بعض أهل الإسلام ، لكن ذلك مستحيل لأن التوراة والانجيل كانا قبل ظهور النبی محمد . وقد ورد فى القرآن : « يا أيها المؤمنین أنتم لیس علی شیء حتى تقیموا التوراة والانجيل » (١) وفى خزائن العلوم بأوروبا توجد نسخ من التوراة والانجيل مأخوذة من الآثار القديمة الشرقية ، وهذه النسخ مسطرة من قبل النبی محمد ، وهى مثل كتب التوراة والأنجيل الآن ، ولو كان فيها تحريف لذكر ذلك فى القرآن ، ولو كان النبی یجرد أهل الإسلام عن الإيمان والدين ، حتى یقیموا

(١) سورة المائدة الآية رقم ٦٨ ونصها بلا تحريف یقول : ﴿ قل یا أهل الكتاب لسم علی شیء حتى تقیموا التوراة والانجيل وما أنزل إلیکم من ربکم ولیزیدن کثیراً منهم ما أنزل إلیکم من ربک طغیاناً وکفراً ، فلا تأس علی القوم الکافرين ﴾ .

هذه الكتب المزورة ، بل كان أوضح عن التوراة والانجيل اللذين يجب إقامتهما مع عل وجودهما ، لأنهما ضروريان للمسلمين وبدون وجودهما وإقامتهما لم يكونوا على شيء ، وإن اللذين بأيدي اليهود والنصارى حصل تغيير وتبديل بهما ، ومادام لم يتوضح ذلك بالقرآن فيعلم أن الموجودين هما ذاتهما ، ويكون خطأ عظيماً على أهل الإسلام إذا ناقضوا فيهما ، بل ويكونون على غير إيمان بالدين المحمدي !!

ولم يفهم ماهي الأسباب التي أوجبت على النصارى تغيير الانجيل ، هل يصح أن يتوضح به عدم صلب المسيح وهم يوضحون أنه صلب ، ويقبلون هذا الاحتقار أو هل بدلوا في كثرة الزوجات ، ولذات العالم بزواج امرأة واحدة ولو تكون رديئة ، أو غيروا الوصايا التي تأمر أن تحب حبيبك ، وتبغض عدوك بوصية : حبوا أعداءكم وأحسنوا لمبغضيك . هذا لا يتصور أبداً ، وبالأخص أنه لا يصح أن النصارى يغشون أنفسهم في دينهم .

ثانياً : لا يتفق ولا لملك من الملوك أن يجمع الكتب الموجودة بالعالم ويحرقها كلها وينشئ غيرها وينشرها مع عدم وجود الورق والطبع وقتها .

ثالثاً : إن أعداء الديانة المسيحية فلاسفة ومؤرخين كانوا بالمرصاد إلى المسيح ورساله وكانوا يطعنون فيه وفي آياته وينسبونها إلى سحر ، فلو كانت حصلت تلك الحادثة المهمة لكانوا ملؤا بها كتبهم ، وكانت أيضا تذكر في كتب النصارى في المضادين الذين كانوا ، فمن ذلك لم يثبت هذا الوهم ، وإنما غاية القول إذا كنا نتبع الإيمان بالبراهين العقلية فنفضل ولا يكون عندنا إيمان ؛ لأننا إذا بحثنا في ذات الله وتصورنا كيف أنه يكون بغير أصل ولا بداية ولا أب ولا أم مع أن كل شيء له ابتداء ، فنجزم أنه ليس موجودا إله ، ثم إذا تأملنا في كون واحد يخلق كل هذه المخلوقات التي لا يمكن حصر أسمائها ومبدأ الكل فوق الفوق ، وتحت التحت ، ويدبر كل أمورهما ، ويطلع على خفاياها ، فلا نصدق مطلقاً أن توجد مقدرة تصل لهذا المقدار .

كما وأنه وجد بالعالم علماء وفلاسفة تعمقوا في البحث في الله وقدرته ، وغرقوا في البحور بدون أن ينتفعوا بشيء ، بل ضلوا تمام الضلال ، وكل

أهل الأديان العارفين بالله ، يقرون بعدم إدراكه ، وعدم فحص حكمته ،
ووجوب الإيمان بدون بحث .

فإذا قال لنا ساداتنا أهل الإسلام كيف نعتقد أن الله ثلاثة أقانيم ؟
وكيف الكلمة تتجسد في بطن العذراء ؟ وكيف تكون متحدة بالذات
والروح المالىء السموات والأرض ؟ (لو أن هناك براهين كافية لذلك
بخلاف ما أوضحناه وبعض يعملون تشبيها لاستقرب الإيمان الشمس
وقرصها وشعاعها) .

فنقول إن ذلك ليس من خصائصنا ، ولا من خصائص المؤمنين ، بل
يجب علينا الإيمان بدون بحث ، لأنه لا يليق لنا أن نتجاسر بالبحث في
ذات الله وكلمته الغير المتناهية ، ونناقضه في ذات نفسه ، وفي أفعاله ، لأننا
إذا قدرنا أن ندرك أسرار كلمته انخفض شأن الهيته .

فلنأخذ قياسا عما يقع بهذا العالم :

وهو أنه يوجد ناس صالحون متعبدون مستقيمون والمصائب تحيط بهم
من كل جهة !

ويوجد ناس صالحون متمتعون بثروة وراحة وغنى وناس اشقياء
متمتعون بصحة وغنى وراحة !

وناس كثيرون متضايقون منه لعدم وجود القوت الضروري !

وناس أغنياء بدون نسل يشتهون ولو ابنة واحدة ولا يلحقونها !

وهكذا وقد تنتصر ملوك كفار وينخفض مؤمنون صالحون !

● فإذا كنا نقيس ذلك على حسب عقلنا نقول إن الله غلطان وأفعاله
بدون انتظام ، أو ليس موجوداً إله ولكن إذا أدركنا ضعفنا نقول إن حكمة
الله عجيبة وأفعاله صالحة وكلها بوزن واستقامة .

وإذا تأملنا فيما حصل بعد صعود المسيح نجد أن الايمان المسيحى
اضطهد في كل زمان ليس من عباد الأصنام فقط ، بل ومن المسيحيين
أنفسهم ، وانتصبت مجامع وصارت مباحثات ومجادلات مستمرة حتى إلى

جيلنا هذا فإن المباحثات لم تنقطع ، ولكن مع كل ذلك لم يثبت ما يخل بأصول الاعتقاد المسيحي عن ألوهية المسيح ، وكونه كلمة الله المتحدة بالذات والروح .

ومن المعلوم أنه من ابتداء المسيح لحد الآن مضى نحو ١٩٠٠ سنة والنصارى تعدادهم نحو مائتي مليون ، فإذا حسبنا بكل مائة سنة ، مائتي مليون ، نجد جملة النصارى مائة وتسعين ألف مليون ، وبكل هؤلاء العالم والمباحثات والمجادلات التي أجروها فغاية ما اتصل إليه فهمهم جميعا هو نفس اعتقادنا المتمسكون به الآن .

وأما أهل الإسلام فهم في الديانة صريحون غاية الصراحة ، ولا يميلون طبعاً إلى المجادلات والبحث في الديانة ، ولا بأس بهذه الخصلة الجميلة فإن دين الإسلام لا يتزعزع ولا يتفرق مادام أهل الإسلام متصفين بهذه الصفة^(١) .

فبناء على ذلك إن كان ساداتنا أهل الإسلام يناقضوننا في اعتقادنا ، فلأجل المناسبات التي أوضحناها لا نتبع مشورتهم ، نظراً لصراحتهم ، وعدم ميلهم طبعاً إلى البحث . وأما النصارى فقد بحثوا وحققوا بغاية التدقيق ، فلذلك يكونون أكثر معرفة في هذا الاعتقاد وما أحسن قول من قال : إنه يجب على كل إنسان أن يثبت في ديانته التي ولد بها — يعني من طوائف المؤمنين الذين يعرفون الله ليس عباد الأصنام — فإذا كان هناك بعض غلط في إيمانه فيكون معذوراً فيه ، وأما كونه يبحث بحسب عقله فمطلقاً لا يتيسر له الجزم بحقيقة ، لأنه إذا كان علماء الدنيا الكبار لم يتفقوا مع بعضهم على قاعدة واحدة اعتبروها الحقيقة !! فكيف يمكن لواحد منا تحقيق ذلك ؟!

والأوروبيون فيهم ناس كثيرون طبيعيون لا يصدقون بألوهية لكن

(١) يرجع إلى مقدمة المحقق .

يقرون إن شريعة المسيح يحق لها أن تدعى الهية لأنها شريعة كمال ولا توجد شرائع مثلها .

إنه بإفادة حضرتكم ننصحونا بأنه يجب رفض الجاه والزخارف الدنيوية والسعى إلى ما يؤدى إلى الحياة الأبدية ! ولهذا السبب عينه تكلفنا فى تحرير هذا لأنه لعدم معرفتنا كان صعبا علينا وكل هذا أملا بأنه مع وقوف حضرتكم على الحقيقة تصدقون القول بالفعل من المناظرة نحو الحياة الأبدية ، وعسى يكون تعبنا سببا لتذكير حضرتكم بما أوضحتموه لنا ؛ لأن حب الحياة ولذات هذا العالم تذهب كحلم الليل ، ويجب غاية الحذر منها ، والله هو الهادى إلى الصواب ، وهو يهدى من يشاء ، وأرجو من حضرتكم السماح وعدم المؤاخذه إذا رأيتم غلطا لأن ذلك حسب إمكاننا أفندم .

الداعى
شنودة مغاريوس

* * *

ابن عبد الله يطلب إيضاحاً من البطريرك خاتمة المطرية

•• جناب المحب العزيز المحتشم الخواجة شنودة مغاريوس :

بعد تقديم احترامنا لمحبتكم قد حظينا بالأمس بالمكتوب المبعوث لنا من جنابكم عن يد حضرة المحب الخواجة نقولا أورسكلكى رداً للسابق تقديمه لمودتكم في ٦ فبراير سنة ١٨٩٠ وبكل سرور قد كررنا تلاوته لمعرفة دقيق معانيه ، ولليقين بأن المباحث العلمية الباعثة للتنوير ، تميل إليها كل نفس شريفة ، متى كانت مبنية على خالص الود والمحبة ، والمحافظة على حرية العقائد دون البحث في نفس موضوع المناظرة من حيث هو .

ولذا يسرنا الغاية أن نقدم لحضرتكم الاجابة عن هذا المكتوب بكل احتشام ، خصوصاً وما صرحتم به من حب المتفقيين من الطوائف المسيحية لدوام البحث في الدين لإثبات الحقائق ، قد شجعنا على القيام بأداء ذلك ، وسيحصل إن شاء الله عند تفضلكم بالإجابة عما سنبيده بهذا ، وهو أنه كما لا يعزب عن فطنة جنابكم تعذر المجاوبة عما لا يسبق فهم معناه من العبارات ، وحيث بما تعدد اطلعنا عليه من أقوال بعض المسيحيين في معنى أقانيم الثالوث المقدس لم يصادفنا مثل ماتوضح بمكتوب حضرتكم الآن عن وصفهم (ذات ونطق وروح يعنى الله حى ناطق) ومن المعلوم أن هذه الأقانيم الثلاثة هى خواص الله الرئيسية وأنه بدونهم لا يكون الله إلهاً تاماً ، وقد تعذر فهم المعانى المقصودة من إطلاق هذه الألفاظ ذات ونطق وروح على وصف ثالث الإله إن كانت هى عبارة عن صفات متعددة للإله الواحد الفرد الصمد أم عبارة عن أسماء متعددة لإله واحد ! أم كل منها يختص بعلم لما هو معلوم من أن كل اسم لا بد له من مسمى ؟! أو لفظة ذات مقصود بها الذات العلية ! ولفظة نطق

مقصود بها نطقه أى كلامه القديم الكائن بلا حرف ولا مخارج كما هو لائق بصفات الكمال أم غير ذلك ؟! وإن كان هكذا فهل باقى الصفات كالسمع والبصر وغيرها متساوية فى الدرجة والمعنى الخاص بها ؟! كصفة الكلام عند العلماء المسيحيين أو بعض الصفات ممتاز على البعض ! وإن كان المعنى المقصود بالذات والنطق والروح هو ذات ونطق وروح الإله الفرد فبماذا يكون التعبير عن لفظة (روحه) مع علم جنابكم بعدم جواز البحث فى كنهه القائم بذاته بلا ابتداء ولا انتهاء كما هو ممنوع قطعاً بالدين الإسلامى ولأى معنى تنصرف هذه اللفظة (روحه) ؟! نرجو من مودتكم توضيح معنى الألفاظ المذكورة بأسهل وأفصح مايمكن من العبارة الممكن للفهم إدراكها وكذا لفظة (خواص الله الرئيسية) هل هى بمعنى صفات لا يكمل قيام الذات إلا بها ؟! أم من قبيل زيد وعمرو خواص الملك لما يقرب هذا المأخذ من تعددهم (بهؤلاء والثلاثة) أغير ذلك من المعانى نرجو منكم بيانه بأنور عبارة ؟! .

وثقوا حضرتكم أن سؤالنا هذا هو سؤال استفهامى لا إنكارى ولا بدع فى أن فوق كل ذى علم عليم ، أما إن كان غير ممكن التعبير عما ذكر من طريق أفصح غير القدر الذى أوضحتكموه حضرتكم فلنكرم بالإجابة أيضا إنما غاية مانرجوه أن لا تطيلوا الأمد لتقديم جواب الأصل واقبلو احترامى .

أيوب صبرى بن عبدالله

٣ يولية سنة ١٨٩٠ م

البطركخانة المصرية توضح .. عقائد أئمة المسيحيين !!

●● قد يعجز عقل البشر عن أن يحوى كنه ذات البارى ، خلا ما أوضح عن ذاته بفهم أنبيائه ورسله الثابت صدق قولهم . إنه ذات واحد . وجوهر واحد . ثلاثة أقانيم : أب وابن وروح قدس . والثلاثة جوهر واحد ، ذات واحدة ، لاهوت واحد ، معبود واحد ، وأن الأب والد الابن وباتق الروح منذ الأزل ، وأن أقنوم الأب غير أقنوم الابن ، وأقنوم الروح . وأقنوم الابن غير أقنوم الأب وأقنوم الروح غير أقنوم الأب ، وأقنوم الابن ، ومع ذلك فليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحد ، لأن التغاير والاختلاف هو فى الأقانيم والصفات ، لا فى الجوهر والذات .

وحسبنا المثال بالنفس الحية الناطقة مع كونها ذاتا حية ناطقة فإن الذات غير حياتها ونطقها ، وحياتها غير ذاتها ، ونطقها غير ذاتها وحياتها . فليست ثلاثة أنفس . بل نفس واحدة ، لأنها لا تتعدد بالذوات بل بالصفات وإذا قلنا كيف أن الله ذو ثلاثة أقانيم وليس ثلاثة آلهة فإنه جل وعلا جوهر واحد وذات واحد بثلاثة خواص كالنفس كما توضح أو كالشمس المشاهدة عيانا فإنها قرص ، وحرارة ، وضياء ، ومع وجود هذه الخواص الثلاثة التى كل واحدة منها غير الأخرى فليست ثلاثة شمس ، بل شمس واحدة لأنها ذات واحدة ، ولو تعددت خواصها فكذلك ذات البارى التى هى ثلاثة خواص ، فليست الخواص الثلاثة ثلاثة آلهة ، ولو تعددوا لكون ذاتهم واحدة وجوهرهم واحدا ، وقوتهم واحدة ، وفعلهم واحداً .

ما معنى تعدد الخواص ؟!

وإذا قيل ما معنى تعدد الخواص ؟! الجواب أن كلا من الثلاثة أقانيم يتميز بخاصة دون الآخر مع وحدة الجوهر ، وإذا علمنا ذلك نقول : إن

الأقنوم الأول يتميز بخاصة الأبوة مع وحدة الجوهر بما أنه والد الابن واثاق الروح فيكون علة الابن والروح بالنسبة إلى القرص .

والابن يتميز بخاصة البنوة مع وحدة الجوهر بما أنه مولد من الأب أزليا وذلك كولادة النطق من العقل والشعاع من الشمس ولادة بسيطة لطيفة لا كثيفة ولا مدركة ، فيكون الابن مولودا لا والدا ولا منبثقا .

الليضاح يزيّد الأمور تحقيقاً !!

والروح القدس يتميز بخاصة الانبثاق مع وحدة الجوهر لأن الروح منبثق من الأب أزليا كصدور الحرارة من القرص . وليس هو والد ولا مولود بل منبثق .

فإذا قيل ماذا نعني بولادة الابن وانبثاق الروح القدس من الأب أفما يكون بقولنا هذا أن الأب أقدم من الابن والروح كما تقدم الشجرة على الشجرة والأب عن الابن الجسدى ١٩ .

الجواب أن ذات الله حية ولا حى إلا بحياة ، وناطق ، ولا ناطق إلا بنطق ، ولكون الحياة لا تقوم وحدها أى خلوا من ذات ، وكذا النطق تكون الذات علة لقيام الحياة والنطق ، ومن حيث أن الذات ناطقة بالقوة أزليا ، وحية بحياتها أى والدة النطق وباعثة الحياة ، فتبعنها دون الحياة والنطق بالأبوة ، ومن حيث أن النطق منطوق به بالقوة أزليا أى مولود من الذات فننتعه بالبنوة ، ومن حيث أن الحياة محيى بها بالذات فننتعها بالانبثاق أو الروح القدس ، والعقل يشهد بذلك أنه لا يمكن تبديية الأب عن الابن والروح ، إذ لا يمكن أن ذات الله تكون مجردة من نطقها وحياتها وقتاً ما بل النطق والحياة موجودان أزليان مع الذات . وإلا لكان البارى وقتاً حياً ناطقاً وآخر عديم الحياة والنطق ، وهذا لا يقبله العقل ولا النقل .

ثم أن القائل هذا القول قد يضطر إلى قول آخر من المحال أن يكون . وهو إن كان الأب متقدماً على الابن والروح ، فمن اللازم أن يكون تقدمه عليهما مقداراً محدوداً معلومة كميته . مثلاً : مقدار أربعين ألف سنة أو أكثر أو أقل ، ومن هنا يستنتج فساد هذا الرأى إذ يتعين به ابتداء للذات وهذا من المحال ٢٠ .

وإذا قلنا كيف كيفية هذه الولادة والانبثاق لمساواتهما مع الذات في الوجود؟! فالجواب حسبك الاعتبار والمثال بالنار ، وظهور الشعاع الصادر منها وقوة الحرارة التي تفعل وتؤثر مع الضياء باستكان الاثنين في النار وصدورهما عنها ، فإذا علمنا هذا نقول : إنه لا يوجد قبلية ولا بعدية بين النار والضياء والحرارة ، بل اتحاد الثلاثة ووجودها في الزمان واحد إذ كان الضياء لا يظهر قبل النار ولا بعدها وكذا لا توجد النار دون الحرارة بل وجود الثلاثة متساو ، فهذا المثال يقرب الفهم لذات البارئ ونطقها وحياتها بمساواة الوجود ، ثم إن جميع الموجودات علة وجودها الله ، والله لا علة له في وجوده ، إذ كان واجب الوجود أى موجودا بذاته ، مستغنيا عن غيره في وجوده فكل موجود على الإطلاق إما ظاهر وإما غير ظاهر ، وقد علمنا أن الله ليس بجسم ، وكل مالمس بجسم فممتنع النظر إليه ، وبالتالي فلا يرى ولا تقع عليه الحواس الجسمانية البتة من النظر واللمس . وثمة ذلك لأنه ليس بمحسوس بل وأرفع من المحسوس نقول هب أن تقرر أن الله بسيط لطيف لا يدرك ، فإن كل موجود إما أن يكون ذا حياة أو لا يكون ، فإن كان ذا حياة فيكون قابلاً للحركة غير ميت ، أى حياً متحركاً وإن لم يكن ذا حياة فيكون جماداً عديم الحركة ، والنتيجة أن هذا الموجود إما أن يكون حياً متحركاً أو جماداً غير قابل للحركة ، وهذا ظاهر لا يلزم له تكرار .

ونزيد على الموجود الحي قسماً ثانياً : وهو أن هذا الموجود الحي إما أن يكون ذا نطق ، فيكون حيواناً ناهقاً فيجب على ذوى المعارف ممن ارتشد إلى الإقرار بالصانع الواحد القديم الأزلي أن يعرف خواصه وجوهره ، فيقر أن جوهر الله حي لينفى عنه الموت ، وأنه ناطق لينفى عنه الخرس ، لأنه لا يصح لموجد الذوات ، ومبدع الحياة وخالق النطق في الإنسان أن يكون بدون حياة ونطق .

فبقى أن جوهر الله حي ناطق ، أى حي بحياة وناطق بنطق . فالحياة فينا يامعشر الآدميين لها نهاية وانقضاء وغاية بالموت اللاحق بجواهرنا ، والله تبارك وتعالى حي غير ميت لا ابتداء لحياته ولا انتهاء ، والناطق فينا من أشرف الفضائل التي ارتفعنا بها عن حد الحيوان ، فالفرق بين نطق

الله ونطق البشر هو أن نطق الله أزلى بذاته ، ونطقنا مخلوق لأنه تباركت
أسماءه حتى ناطق غير مائت ، ونحن حدنا حتى ناطق مائت لكوننا مخلوقين
وهو الخالق الأزلى ، وكذلك الفرق بين الإنسان والحيوان هو أن الحيوان
حتى غير ناطق مائت . والإنسان حتى ناطق مائت .

واعلم أيها اللبيب أن الكلمة الذاتية في الجوهر هي غير الكلام المسموع
الملفوظ من الشفتين ، واللسان والآلات المركبة له ؛ لأنه سواء كان الكلام
من الله أو من الناس ليس هو شيئاً قائماً بذاته ولا عيناً يشار إليه ، وإنما
يضبط ويقيد بالآلات كالكتابة والخط ، ولولا ذلك كان ينحل ويتلاشى
بخلاف الكلمة الذاتية الثابتة الأزلية الدائمة بلا انتهاء . فالفرق بين الكلام
والكلمة ، كالفرق بين الجوهر والعرض ، وبين ما كان ذاتياً لم يزل وبين
ما هو حاضر مكتسب . والدليل على صحة هذا الرأي الوطيد أن حد
الإنسان حتى ناطق مائت . فنطق ليس من حيث أنه لافظ كلاماً مسموعاً ،
ولو كان ذلك كذلك لم يكن حد الإنسان الأخرس من بطن أمه ، أو
الساكت وقتاً ما حياً ناطقاً ميتاً ، بل حياً ميتاً لأنه ليس بناطق . والآن
ليس الأمر كذلك لأنه لو كان الإنسان أخرس ، أو عرض له عارض وألزمه
الصمت والسكوت فلا يمتنع أن يكون هذا الإنسان حياً ناطقاً ميتاً . فإذا
الكلمة غير الكلام ، لأن الكلمة هي قوة النطق المستكنة في جوهر
الإنسان ، فمن ثم اتضح أن النطق والحياة اللذين للبارى تعالى كل واحد
منهما جوهر لأنه لا يمكن أن يكونا عرضين ! وإلا لزم أن يكون الباري
محدثاً ويقبل الاعراض والغيارات والآلام تعالى عن ذلك .

فاذا كل أحد من النطق والحياة هو جوهر ! ولا يمكن أن يكون جوهرها
عمومياً لئلا يتطرق على الخالق والمخلوق ، فالكلمة كلمة واحدة ، وكذلك
الحياة ، فإذا جوهر كل واحد من الحياة والكلمة ، جوهر خصوصي أعني
به أقنوما ! وذلك ظاهر أن كلمة الباري تعالى هي أقنوم الباري ، وهكذا
حياته ، لأن الذى هو حكيم وحى ، معناه غير الكلمة والحياة ، وهو أيضاً
أقنوم قائم بذاته ، وله الحياة والنطق ، والنتيجة أن ذات الباري حية ناطقة ،
ومن المعلوم أنه لا حى إلا بحياة ، ولا ناطق إلا بنطق ، وحيث أن الذات علة

الحياة والنطق ، لكون كل من الحياة والنطق لا يقوم خلوا من الذات ، فتكون الذات علة وجودهما لا إيجادهما بعد أن لم يكونا ، بل قيام كل منهما — أعنى الحياة والنطق — فنصف الذات بالأبوة على الدوام والحياة بالانبعاث على الدوام والنطق بالولادة على الدوام لكون الذات علة وجودهما على الدوام . أى الحياة محيى بها دائما ، والنطق منطوق به دائما ، والذات ناطقة وباعثة دائما ، وحيث أن النطق مولود لا والد ، والحياة منبعثة لا والدة ولا مولودة ، وأن الذات والدة وباعثة ، لزمنا أن نصف الذات أباً ! والنطق ابناً ! والحياة روحاً ! فيكون البارى ثلاثة أقانيم : أباً ، وابناً ، وروحاً قدساً جوهرها واحداً لا يتعدد !

وما أوضحتموه عن تعدد صفات الله عز وجل وهل تكون كلها أقانيم أم كيف ؟!

الجواب ان صفات البارى تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهى الصفات الثبوتية الذاتية ، والصفات الاضافية أى الاكتسابية . والصفات السلبية .

فالصفات الثبوتية تنقسم أيضا إلى قسمين منها : ماهو صفة للذات . ومنها ماهو صفة لتلك الصفات . ومن المسلم أن صفة الصفة لا تحسب ولا تعد مع الصفة . أما الصفات الذاتية الثبوتية فهى قادر حى ناطق لا زائد عليها ولا ناقص منها فأما تمييز الصفة من صفة الصفة فهى عن القادر أنا لا نجد مريدا رؤوفا رحيماً إلا قادرا ، فالرأفة والرحمة والارادة صفات القادر ولا يعكس . وعن الحى لا نجد سميعا بصيرا إلا حيا ، فهما صفتان للحى مع أنهما من الحواس الخمس وهو يتعالى عن السمع والبصر كما اعتلى عن الشم والذوق واللمس وعن الناطق أنا لانجد حكيما عاقلا مدركا لا ناطقا فهن صفات تابعات للنطق ولا يعكس فتميزت الصفات الذاتية الثبوتية التى هى قادر حى ناطق .

وأما الصفات الاضافية فهى التى موجبة بالقوة أزليا ثم تخرج بالفعل حديثا كما يقال أن البارى خالق قبل أن يخلق بالقوة ، فلما خلق العالم سمي خالقا بالقوة والفعل ، وهكذا الرازق والغافر والمانع والرعوف والرحيم وما أشبه

ذلك وأما الصفات السلبية فهي التي توجب الصفات الثبوتية كما مر ذكرها ومن المعلوم أن كل موصوف بصفة ما لا بد أن يسلب ضدها إذ أن الضدان لا يجتمعان معا ولا يرتفعان ، فمن وصف الإله تعالى بأنه ليس بمعدوم فقد أثبت له الوجود ، ومن وصفه بأنه غير مائت فقد أثبت له الحياة ، ومن وصفه بأنه ليس قبله غيره فقد أثبت أنه واجب الوجود ، ومن وصفه بأنه ليس بجاهل فقد أثبت له النطق ، والعلم ، والحكمة ، ومن وصفه بأنه ليس بضعيف فقد أثبت له القدرة ، فالصفات السلبية باللازم تثبت الصفات الثبوتية كما نظرت . ومن المعلوم أن هذه الصفات ماعدا الصفات الثبوتية الذاتية التي هي قادر ، أو موجود حتى ناطق ، ليس قائمة بذاتها . وبالتالي فليست أقانيم كما يزعم المتشكك !! ولما كانت حقيقة الإله جل جلاله هي توحيد ذاته ! وتثليث صفاته ! فلم يكن في سائر الأسماء المعلومه لمخلوقاته أسماء يعبر بها عن الثلاثة أقانيم ! وتتميز بها خواص صفاته ! سوى الثلاثة أسماء التي اختص بها سيدنا المسيح كلمة الله وهي الأب والابن والروح القدس !!

عجبا ممن يدعى ويزعم أن المسيح مخلصنا كلمة الله وهو ذات قائم وعين يشار إليه وأنه استحق هذا الاسم لأنه كلمة الله ! لأنه قال له كن فكان ! فيقال له عرفنا كل مخلوق سواء كان من الناس أو البهائم هو كلمة الله وروحه فلم يكن يجاب إلا هو فاذنه فإذا كان الأمر كذلك ماالفضل للمسيح على غيره إذا كان هذا بكلمة الله وروحه وذاك بكلمة الله وروحه فأشكل على المعارض من قبل أنه لم يميز بين الكلمة والكلام !! فظن أن المسيح كلمة الله أعنى أمره أو كلامه ! ولم يفقه أنه القوة النطقية الذاتية الكلمة الأزلية المتجسد لأجل خلاص آدم وذريته من عقاب العدو اللعين وأسرته .

أما ماتوضح عن (وروح منه) فمادام أن الذات العليا والنطق والروح هم أقانيم الله ! والروح هي الحياة بين الأتقونين فربما أن المراد من قوله كلمة الله وروح منه ! يعنى به أن الروح متحد بالذات وأيضا بالنطق !!

● عزتلو أفندم أيوب بك صبرى :

أنا قد أوضحنا لسيادتكم معلومات أئمة ديانتنا المنطبقة على كلام الله
بفهم أنبيائه ، وهذه الإيضاحات هى لتقريب الفهم إلى حقيقة الإيمان لئلا
يكون المسيحيون عاجزين عن معرفة حقيقة إيمانهم أفندم .

الداعى
شنوده مغاريوس

* * *

أيوب صبرك بن عبد الله يرك على البطر كخانة المصرية والقس شنودة مغاريوس

●● جناب المحب المحتشم شنودة أفندى مغاريوس :

بعد تقديم واجب الاحترام قد اطلعنا على مكتوب حضرتكم الوارد لنا ، وغاية ما أوردتموه جنابكم أن المسيح عليه السلام ، هو حقيقى مرسل من الله لإتمام مقاصد إلهية ، وأن المرسل هو غير المرسل ، وأن الله واحد لم يكن له ولد^(١) . ثم قلتم بأنه ثلاثة أقانيم : ذات ، ونطق ، وروح . يعنى الله حى ناطق ، وأن هذه الثلاثة أقانيم هى خواص الله الرئيسية ،

(١) فى كل شىء له آية ، تدل على أنه الواحد

اختلف الناس فى عقيدة التوحيد ، لاختلاف أنظارهم بالصحة والفساد . والضغط على المولود بالسير على مايعده آباؤه ، وأجداده ، وأمهاته ؛ ولو كان كفراً . فيشب الطفل على عقيدة الآباء ، لاه عن التفكير فى باقى الأديان ، فيضله الشيطان ، إنه كان برئه كفوراً .

فمن تجرد عقله عن غواش الوهم ، وأعمل فكره فى تحصيل المقدمات الصادقة ، ورتبها ترتيباً صحيحاً ، وصل إلى تلك العقيدة الصحيحة . ومن غلب على عقله الوهم والخيال ، قاده ذلك إلى مقدمات وهمية وترتيب فاسد ، فتكون نتيجته باطلة .

ولو فرض إلهان صانعان ، قادران على الكمال بالفعل ؛ أو بالقوة ؛ لأمكن بينهما تمناع ، بأن يريد أحدهما حركة جسم لفرض كان فى أزله ، والآخر سكونه . فلنفرض ذلك التمانع واقعا ، لأن الممكن هو الذى لا يلزم من فرض وقوعه ، محال لذاته ؛ وإلاّ لكان متمتعاً لاممكنا ، ولا شك أن كلا من الإرادتين معاً وتعلقهما بممكن فى نفسه ، ولا تضاد بينهما ؛ بل بين المرادين : فلا يقال إذا أراد أحدهما كان السكون مستحيلا .

فلا تتعلق به إرادة الآخر ، على أن المفروض توجه الإرادتين معاً لا تعاقبا ، وإذا تمنعا : فإمّا أن يحصل مرادهما معاً ، فيلزم أن يكون الجسم متحركا ساكنا فى آن =

= واحد ، وهو محال عقلا ، وعملا : في الطبيعة والعلوم . وإما أن يحصل مراد أحدهما ، فالذي لم يحصل مراده ، يرى في نفسه الغيرة والحسد ، والمنافسة من الآخر ، ويكون عاجزا ، فلا يكون إلهاً . وإما أن لا يحصل مراد واحد منهما ، فيرتفع الضدان المتساويان للنقيضين : وهو باطل . ويلزم عجز كل منهما ، فلا يكونان إلهين .

ولو وجد إلهان قادران على الكمال ، وأنه لا يصح مطلقاً أن يكون إلهاً ، وليس مستجمعاً لشروط الألوهية : من كمال ، وقدرة ، وعلم وخلافه . فلو فرض وجودهما مستجمعين شروط الألوهية ، لامتنع وجود شيء من العالم ، وامتناع وجود شيء من العالم باطل ، وأنه لو وجد إلهان مستجمعان شروط الألوهية ، لكانت نسبة المقدورات إلى كل منهما واحدة ؛ لأن مقتضى للقدرة الذات . والمصحح للمقدورية الامكان . فتكون قدرية كل عامة لجميع الممكنات . وحينئذ فإذا فرضنا مقدراً معينا يراد وقوعه ، فإما أن يقع لكل واحد منهما استقلالاً في آن واحد ، وهو باطل للزوم اجتماع المؤثرين المستقلين على أثر واحد بالشخص ، وهو محال بالبداهة !

وإما أن يقع بأحدهما فيلزم الترجيح بلا مرجع ، وهو محال أيضاً ، وإما أن لا يقع فيلزم عجزهما !!

فثبت أنه لو وجد إلهان قادران على التمام ، مستجمعان شرائط الألوهية ؛ لامتنع وجود شيء من العالم . أو اخل نظام الكائنات ، وأصبح العالم غير منظم بهذا النظام . تعالى الله الواحد الأحد . الذي نظمهم بعلمه وقدرته على أتم نظام ، فأصبح منسقاً منظماً . كل ميسر لما خلق له ، وللوصول إلى عقيدة التوحيد ينظر العقل الصحيح ، لم يخالف فيها إلا « الثنوية ، دون « الوثنية ، فانهم لا يقولون بوجود إلهين واجبي الوجود ، ولا يصفون الأوثان بصفات الألوهية ، وإن أطلقوا عليها اسم الآلهة ! بل اغفلوها على أنها تماثيل للأنبياء والزهاد ؛ أو الملائكة . واشتغلوا بتعظيمها على وجه العبادة ، توصلوا بها إلى ماهو إله حقيقة . قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ فعدهم من المشركين لقولهم بتعدد المستحق للعبادة ، لا لقولهم بتعدد واجب الوجود .

وأما « الثنوية ، فقالوا : نجد في العالم خيراً كثيراً ، وشرّاً كثيراً ، والواحد لا يكون خيراً شريراً بالضرورة ! فلكل منهما فاعل على انفراده . وقد رُدّ عليهم : بأنه إن كان المراد بقولهم لا يكون الواحد خيراً شريراً أى لا يوجد واحد يكون ذا خير كثير ، وشر كثير ، إذ لا مانع من أن يكون الفاعل واحداً منه ، الخير الكثير . والشر الكثير .

ولو سلمنا أن الواحد لا يكون خيراً شريراً بهذا المعنى . لا نسلم أنه يلزم أن يكون للخير إله ! وللشر إله ! لأن الخير إن قدر على دفع شر الشرير ولم يدفعه ، فهو شرير ! وإن لم يقدر على دفعه فهو عاجز ! ولا يكون إلهاً !

إذا كان إله الخير هو الذي يفعل الخير للعالم كله فقط . فمن الذي يفعل الشر =

= مع أنه محتاج إلى قدرة لتفهيذه . ولا يمكن أن ينتظم العالم إلا بالخير والشر ، واجتماعهما قلباً وقالها . وإذا كان للشرّ إله واحد ولا يفعل شيئاً قط ؛ إلا فعل الشرّ ؛ وليس به من غير مطلقاً ؛ فإنه يعد قاسياً شديداً الجبر على الخلق ، ظالماً لا ينزل عليهم إلا الشر فقط ، فمن ينزل الخير على الناس إذا !! .

فلذلك لا يكون إلهاً لقسوته ، وعدم الرحمة بالناس ؛ بل لابد أن يجتمع الخير مع الشر في نظام الكون . فلذلك كان الله بالناس رحيماً ، ومن أسأله أيضاً أنه جبار شديد العقاب ، فمن أراد رحمته اتبع أوامره . ومن أراد سخطه فليبتعد عن شرائعه ، ويكفر به وينعمته — معاذ الله — فالإنسان أمامه طريقان :

طريق الخير في الدارين ..

وطريق الشرّ في الدارين .. فليتبع ما يرضى الرحمن ، وهو طريق الخير فريح بضاعته ، ويسعد في الدارين ، وينتجى عن طريق الشر ، ولا يدخل في نقطة القضاء والقدر ؛ بل يجعلها لله مديراً ، أرزاق الناس ، وحياتهم ، وخيرهم ، وشرهم . وليتوكل عليه . وما عليه إلا أن يطيع الله ويوحده ، ويقدسه ، ويعظمه ، ويجعل الله يفعل ما يشاء ، ويحكم بما يريد ، فهو به أرحم من نفسه ، ومن والدته عليه ، وهو أرحم الراحمين .

وقد قيل :

على المرء أن يسعى وليس عليه إتمام المقاصد . فمن أراد لنفسه خيراً دائماً في الحياة الدنيا وفي الآخرة فليفعل خيراً دائماً .

ومن أراد الشقاء لنفسه في الحياتين فليفعل ما يشاء . وإن أمامه يوماً مشهوداً تشيب من هوله الرؤوس ، وتقشعر منه الأبدان . يوم يحاسب المرء على ما قدمت يده ، فمن عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها . ونحن أدركنا بذلك . إذا فحن ضعفاء ، ولابد من اتكالنا على قوة عظيمة تأخذ بيدنا . ألا وهو الواحد المنفرد تعالت قدرته ونعم الوكيل . « بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد ﴾ صدق الله العظيم .

يرجع لكتاب « كلمتي الحق ، في لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، في تفصيل وحدانية الله — طبعة الحقوق الملكية بمصر المحمية . سنة ١٣٤٢ هـ .

وبدونها لا يكون الله إلهًا تامًا ، وأن نطقه الصادر منه المتحد به يدعى ابنه ، وأن قول الله تعالى في القرآن المجيد ﴿ وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ (١) يثبت اعتقاد المسيحيين بأن الله واحد في ثلاثة أقانيم ، حيث أوضح الله وكلمته وروحه ، ولم يقل عن المسيح أنه كلمة من ضمن كلامه ، وأن رسوله نوع ، وكلمته نوع آخر ، وأن من تأمل في ولادة المسيح بغير طبيعة بشرية يقرّ حالًا بألوهيته ، وأن قول المسيح أبى وأبيكم ، وإلهى وإلهكم ، هو من خصائص النাসوتية المتحد بها ، وذلك لا ينفى ألوهيته ، وأن حقيقة الإيمان هو أنه لما خالف آدم الله بأكله من الشجرة حاققت خطيئته بجميع الجنس البشرى ، ولرحمة الله أرسل كلمته ، وأخذت الجسد من العذراء ، وسمح بصلبه وإهانتة لخلاصهم ، وتم الخلاص يوم صلبه بدلالة قوله للص : اليوم تكون معى فى الفردوس . وأقمتم دليل ألوهيته بقول أشعيا النبى عليه السلام بإصحاح ٢ (أن من صهيون تخرج الشريعة إنلخ) وبص ٩ (لأن صيبا ولد لنا إنلخ) وبص ٣٥ (هاإلهكم يأتى بانتقام) وبص ٤٠ (على جبل على اصعدى يامبشرة صهيون إنلخ) وبص ٦٠ (قومى استبشرى ياأورشليم لأنه قد جاء نورك) وقوله : (هو ذا العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا) وقول دانيال النبى عليه السلام (كنت أرى فى رؤيا الليل إنلخ) وتنبه على خراب الهيكل ونحوه وقول داود النبى عليه السلام (الرب قال لى أنت ابنى إنلخ) وقوله (قال الرب لرى اجلس عن يمينى إنلخ) وقوله : (من قبل كوكب الصبح ولدتك) وقال لوقا عن قول الملاك للعذراء تلدين ابنا وتدعين اسمه يسوع إنلخ . وقول يوحنا فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله . وقول المسيح عليه السلام من رآنى فقد رأى الأب . وقول متى اذهبوا وعمدوا باسم الأب والابن والروح القدس ، ثم بعد إيضاح ذلك غاية مافى الكتاب المقدس قصدتم إقامة دليل من القرآن ، وذكرتم كلمات محرفة ليست منه وهى (وإذ تخلق من الطين كهيفة الطير وتنفخ فيها وتكون روحا بإذنى) فالذى أخبر حضرتكم بأن الكلمات المذكورة مسجلة بالقرآن المجيد لا شك أنه جاهل ،

(١) سورة النساء الآية ١٧١ .

أو منافق ، قد افترى على الله الكذب ، له في الدنيا خزي وفي الآخرة عذاب مهين . وإنما لفظ الآية الشريفة هكذا : ﴿ وإذ نخلق من الطين كهينة الطير فتنفخ فيها فنكون طيرا بإذني ﴾ (١) وكذا استشهدتم بكلمات ليست من القرآن أيضا على عدم حصول تغيير بكتب التوراة والانجيل وهي : (يا أيها المؤمنون أنتم ليس على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل) والحق أن من قال إن ذلك بالقرآن ضالّ مضلّ ، وإنما نظم القرآن المجيد هكذا : ﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل ﴾ (٢) ثم قلتّم بأنه لا حقيقة لما يتوهمه المسلمون من حصول تغيير وتبديل بالكتب المذكورة ، وأنه لو كان حصل ذلك لكان الفلاسفة والمؤرخون ذكروه بكتبهم ، وأنه إذا تتبع الإيمان بالبراهين العقلية يحصل الضلال ولا يكون إيمان ، لأنه إذا صار البحث في أن الله ليس له بداية ولا نهاية ولا أب ولا أم وأنه كيف يكون واحدا ويخلق هذه المخلوقات ويدبر أمورها فيحصل الجزم بعدم وجود إله . (نعوذ بالله من الإنكار والجحود) .

كيف يكون الله ثلاثة أقانيم ؟!

وأنه لو سأل سائل كيف يكون الله ثلاثة أقانيم ؟! وكيف الكلمة تتجسد وتكون متحدة بالذات والروح المالىء للسموات والأرض ؟! فيقال : إن ذلك ليس من خصائص المسيحيين ولا المؤمنين ، بل يجب الإيمان بدون بحث ، لأنه لو حصل القياس بالعقول في هذا وهناك أشرار أغنياء وفقراء صالحون لنسب الله الظلم . (تقدس وتنزه سبحانه عن مثل هذا القياس) . وأنه مع وجود ملايين مسيحيين ودوام البحث منهم في شأن الديانة فغاية ماوصل إليه فهمهم هو العقيدة التي أنتم متمسكون بها الآن إلى آخر ماذكرتموه !

ولما كان تصرّيحكم بوحداية الله تعالى ، وأن لا ولد له ، وأن المسيح

(١) سورة المائدة الآية ١١٠ . وما ذكر جزء من الآية وعلى الصفحات السابقة ذكرت الآية كاملة زيادة في الفائدة .

(٢) سورة المائدة الآية ٦٨ . وأيضاً قد ذكرتها كاملة على الصفحات السابقة زيادة في الإيضاح والفائدة .

ﷺ أرسله الله ، وأن المرسل هو غير المرسل اعترافا لا يقبل الرجوع ؛
 لعبارة أن الله ثلاثة أقانيم : ذات ، ونطق ، وروح . لوجدنا التغاير والتباين
 بين المرسل والمرسل وبين القائم بذاته ولا يدرك كنهه غيره ، وبين الهيكل
 الجسماني المتولد في زمن هيروُدس^(١) ، وعدم إمكان تعقل الوحدة مع
 التعدد إلا لفظا على أنالم نجد في الكتب المنزلة ولا في غيرها من كتب وأسفار
 أحاديث الأنبياء المرسلين ما دل على كون الله الواحد ثلاثة أقانيم : (سبحانه
 وتعالى عن ذلك علوا كبيرا) ولا يخفى عليكم أن الجوهر الواحد الفرد
 هو الذي لا يقبل الانقسام ولا التجزؤ فإذا كان جوهر واحد فيستحيل
 أن يكون ثلاثة . وكذا العكس .. وبعد أن قلتم بأنه جوهر واحد ، ذات
 واحدة ، لاهوت واحد ، معبود واحد . قلتم إنه ثلاثة أقانيم الأب والد الابن
 وباتق الروح منذ الأزل . وأن أقنوم الأب غير أقنوم الابن . وأقنوم الروح
 وأقنوم الابن غير أقنوم الأب ، وأقنوم الروح غير الأقنومين الأولين وهذا
 صريح في وجود المغايرة . والبيئونة بين الأقانيم الثلاثة وإن كل أقنوم قائم
 بذاته منفرد بصفاته .

هل الواحد يكون ثلاثة ؟!

فعلى هذا يستحيل وجود الوحدة بينهم وإلا فلا معنى للقول بالتغاير
 لأن الواحد لا يكون ثلاثة ، كما أن الثلاثة لا تكون واحداً ، كما اعترف

(١) هيروُدس : ورد في قاموس الكتاب المقدس الصادر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى

طبعة بيروت سنة ١٩٧١ ص ١٠٠٨ حتى ص ١٠١١ مانصه : « هيروُدس ،

و هيروُدس الكبير ، هو اسم لعدد من حكام وملوك فلسطين ، أو بعض أجزائها ،

أو بعض المناطق القريبة منها .

وفي العهد الجديد ذكر أربعة بهذا الاسم وكان ذلك أثناء الحكم الروماني على

فلسطين . والأربعة هم :

١ — هيروُدس الكبير . وهو الابن الثاني لانتيباس الأدومي الأصل . وكانت أمه

أدومية أيضا .. وقد ولد يسوع في آخر أيامه .

٢ — هيروُدس انتيباس : هو الابن الثاني لهيروُدس الكبير من زوجته الرابعة

السامرية : « ملاكبي » لذلك فإنهم يقولون إن نصفه أدومي ، ونصفه سامري .

٣ — هيروُدس أغريباس الأول وهو ابن أرسطو بولوس ، وحفيد هيروُدس الكبير .

٤ — هيروُدس أغريباس الثاني : وهو ابن هيروُدس الأول . [هذا ماجاء في نصي

كتبهم ، ولك أن تدبر .. والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم] .

بذلك العلماء المسيحيون . وإلا لما كان معنى للوحدة والسلب .

وإذا قيل إن التغير والاختلاف هو في الصفات لا في الذات لزم من ذلك أن تسلب الصفة الثبوتية التي نثبتها لأحدهم دون الآخر .

فإذا قلنا أن الأب حتى ناطق لزم أن يكون الابن صامتا ميتا وإلا لما ثبت التغير .

ثم ضربتم مثل من لاشبيه له ، وليس كمثله شيء بالنفس الحية الناطقة . وقلتم مع كونها ذاتا حية ناطقة والذات غير حياتها ونطقها وحياتها غير ذاتها ونطقها وهلم جرا من المغايرة . ثم قلتم أنها ليست ثلاثة أنفس بل هي نفس واحدة . وأنها لا تتعدد بالذات بل بالصفات ثم جعلتم أن الصفات خواص على أن النطق والحياة صفات لا تقوم بذاتها بل بغيرها كما ذكرتم . وإذا كان الأمر كذلك فلا مغايرة بين الذات والصفات وعلى هذا فلا معنى للقول بأن الحياة غير الذات .

ليست هناك أدنى علاقة بين المشبه والمشبه به !!

ثم لا يخفى الفرق الفارق والبون الواضح بين ذات الله جلّت صفاته ، وبين النفس أو الشمس التي اتخذوها مثالا له وللأقانيم الثلاثة ، لأن الحرارة والضيء ليسا بعرضين متفارقين . أو صفتين متغايرتين ، كما زعموا من المغايرة والمباينة بين الأقانيم ، لأن الضياء في الشمس نتيجة الحرارة ، كما أن الحرارة نتيجة الضياء فهما متلازمان غير متباينين ، بحيث إذا فقد أحدهما فقد الآخر ، فعلى هذا لا ينطبق مثال الشمس ولا النفس على ما أوردتموه من صفات الأقانيم . إذ لا علاقة ولا قرينة ولا ملاءمة بين المشبه والمشبه به .

ثم ذكرتم أن كلا من الثلاثة أقانيم يتميز بخاصة دون الآخر مع وحدة الجوهر ولا يخفى على ذي بصيرة عدم انطباق هذه القضية على الحقيقة لأن وحدة الجوهر تمنع التعدد والمباينة بين الخواص والأقانيم كما مر آنفا ، وإلا فلا معنى للفظ الجوهر والوحدة !

ثم ذكرتم أن الأبنوم الأول يتميز بخاصة الأبوة مع وحدة الجوهر لكونه والد الابن وباتق الروح ، فيكون الأول علة الابن والروح ، وأن الابن يتميز بخاصة البنوة مع وحدة الجوهر بما أنه مولود من الأب أزليا ، مع أن صفات الأبوة والبنوة ليست بخواص مميزة إذ كل ابن من شأنه أن يكون أبا ، كما أن كل أب كان إبنا ، فعلم من هذا عدم تمييز أحدهم عن الآخر بخاصة الأبوة والبنوة ولعدة أسباب ووجوه :

الكتاب المقدس ينفك البنوة عن المسيح !!

أولها : لا يميز الشرائع والأديان الصحيحة نسبة الأبوة والبنوة الحقيقية لخالق الآباء والابناء ، وفاطر الأرض والسماء مبدع الكون بأسره ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد . لاستحالتها شرعا وعقلا ؛ وإذا أريد بها الأبوة والبنوة المجازية وأن المراد بها الشفقة والرحمة ، كما هو المقصود من العبارات الواردة فى الإنجيل والتوراة ؛ فهذه لا يختص بها المسيح عليه السلام وحده لأطلاقها على كثير من الأنبياء بل على كافة العباد كقول الله تعالى فى الباب الرابع من سفر الخروج ٢٢ (ونقول له هذا مايقول الرب إبنى بكرى إسرائيل ٢٣ فقلت لك أطلق ابنى ليعبدنى وأن أبيت أن تطلقه هو ذا أنا سأقتل ابنك بكرك) فأطلق على إسرائيل لفظ ابن الله فى الموضعين بل خصصه بلفظ البكر وفى المزمور ٨٨ قول داود عليه السلام فى خطاب الله (حينئذ كلمت نبيك بالوحى وقلت إنى وضعت عونى على القوى ورفعت منتخبا من شعبي ٢٠ وجدت داود عبدى فمستحته بدهن قدسى ٢٦ هو يدعونى أنت أئى وإلهى وناصر خلاصى ٢٧ وأنا أيضا أجعله بكرا أعلى من كل ملوك الأرض) فأطلق على الله لفظ الأب وعلى داود لفظ القوى والمنتخب والمسيح والابن البكر وأعلى من كل ملوك الأرض . وفى الآية ٩ باب ٣٩ لأرميا النبي قول الله تعالى (إنى صرت أبا لاسرائيل وأفرام هو بكرى) فأطلق على

إفرايم أيضا لفظ ابن الله البكر .

ولو كان إطلاق مثل هذه الألفاظ موجبا للألوهية لكان إسرائيل وداود وإفرايم أحق بها لأحقية الابن البكر بالاكرام والوراثة الملكية بحسب الشرائع السابقة والرواج العام .

وقال ذلك في حق سليمان النبي عليه السلام وكذا أطلق لفظ الابن في الآية الأولى من الباب ١٤ والآية ١٩ من الباب ٣٧ استثناء وبآية ٢ باب ١ والآية ١ باب ٣٠ والآية ٨ باب ٦٣ لاشعيا والآية ١٠ باب ١ لهوشع على جميع بنى إسرائيل وكذا في عدة مواضع في الانجيل .

فثبت بهذا أن النبوة في المسيح عليه السلام ليست بخاصة مميزة له عن سائر البشر وليست بأقنوم قائم بنفسه ، ولا بجزء من جوهر الذات الوجدانية فلا مسوغ لجعلها ثلاثة ثلاثة مع دعوى الوحدة في الذات والجوهر !

•• أين كان المسيح ساعة خلق السموات والأرض ؟!

(ثانيها) : لا يتحقق معنى النبوة في ذات إلا إذا كان مولودا من غيره كما قال علماء المسيحيين أن عيسى عليه السلام الذى هو أقنوم الابن مولود من الأب الذى هو الأقنوم الأول أزليا وأن الأب علة لوجوده فلزم من ذلك تقدم الوالد ذاتا ، ووجودا على الابن تقدما زمنيا لكونه سببا لخلقه ووجوده ، فعلى هذا مع اعتراف المسيحيين بتقديم ذات الله الذى هو أول كل شئ وخالق كل شئ وعدم ظهور المسيح ووجوده إلا بعد خلقه العالم بآلاف من السنين . كيف يمكن تعقل وجوده مع ذات الخالق وجوداً أزليا قديما من غير تأخير زمنى عن ذات الخالق ؟! وباليك شعرى أين كان عيسى عليه السلام عندما خلق الله الأرض والسموات ؟! .

فإذا كان معه لزم أن يكون هو أيضا إلها ثانيا شريكا له في الخلق والأمر مع قول المسيحيين بعدم الاشرار بالله وتثنيته ! ومع أن العالم بأسره يعلم بأن المسيح عليه السلام لم يظهر له وجود في الخلق ، إلا بعد تولده من رحم مريم عليها السلام ، ولن يتحقق وجوده إلا بهيكلة الجسمانى الذى

ولد به ، كسائر البشر ، وكان عليه السلام تعتريه العوارض البشرية ، من الاحساس بألم الجوع ، والظمأ والحاجة إلى الغذاء والنوم والتبرز والتأثر بالحوادث المادية ، التي هي من الخواص الجسمانية البشرية ، المؤلفة من دم ولحم وعروق وأعصاب وغيرها .

وقد أجمع علماء المنطق على أن كل جسم مؤلف حادث . وكل حادث مخلوق . وكل مخلوق فان . إذ لا بد للجسم المؤلف من الانحلال الطبيعي . وهذا يعارض مايقوله الأئمة من عدم إمكان تقدم الأب عن الابن مع الاعتراف بكون الأب علة لوجوده ، وإن الروح منبثق من الأب أزليا كصدور الحرارة من القرص !

(ثالثها) : إذا كان المسيح عليه السلام أقنوما من الأقانيم الثلاثة التي لا تقوم الذات الإلهية الابها وأنه متصف بصفات الألوهية من القدم وغيره ، وكان الله محتاجا لوجوده من جهة النطق !! فكيف قامت الذات الأزلية عندما كان المسيح عليه السلام في بطن السيدة مريم ؟! وكيف قامت الذات الإلهية بعد الصلب والموت الذي يقولونه ؟!

* * *

العقل لا يجيز احتياج الإله لغيره !!

وكيف قامت الذات الإلهية بعد الصلب والموت الذى يقولونه ؟! وكيف يجوز الشرع والعقل احتياج الإله لغيره كما يقال إنه لا يقوم إلا بكل من الثلاثة أقانيم المتفردة فى الجوهر بعد القول بوحدها فيه ؟! أيعجز عن القيام بذاته مع ماهو معلوم من أن كل مفترق لغيره قطعاً لا يكون إلها ؟!

وقد أقررتم بأن أقنوم الابن هو غير أقنوم الأب والروح وبالعكس ! وكيف يسوغ عند علماء التوحيد جواز طروء العوارض البشرية والحوادث الجسمية على الأقنوم الإلهي ! كالتكوين فى الرحم ، والتولد ، والتحيز بالجسم ، وقبول الحوادث ، والوهن ، والضعف ، والعجز عن مقاومة الحوادث ، والافتقار إلى مابه قيام الحياة الإنسانية ، والتأثر بعوارضها ، والتكلف بالأحكام الشرعية من الأوامر والنواهي ، والخوف من الله ، والعبادة له ، والتضرع والالتجاء إليه ، والاستعانة والاستغاثة به ، كما لا يمكن إنكار ما نطقت به الأنجيل من ذلك .

وعلى هذا فكيف يجوز أو يتصور أو يعقل إمكان إطلاق اسم الألوهية أو اعتقادها فى هذا الشكل الجسماني المشاهد ؟! وكيف ينطبق عليه القول بأنه الواحد القديم الأزلى القائم بذاته ؟! لقولكم أن الثلاثة جوهر واحد ! وذات واحدة ! لاهوت واحد ! معبود واحد ! أو هل يجوز أن يعبد المعبود غيره أو نفسه ؟! وإلا فما معنى تعبد والعبادة له !! « تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً » .

أما نسبة أعمال السيد المسيح البشرية الصرفة وخالص عبوديته وأقواله إلى الطبيعة الناسوتية^(١) والقول بأن ذلك لا ينفي جوهر اللاهوتية المتحد به ؛ فنقول إن فيها شدة المغايرة بين الصفتين والبون بين الطورين والفرق

(١) الناسوت : لفظة مشتقة من الناس كالرحوت من الرحمة .

بين الحاليين تقدست الذات الإلهية عن قبول الطور الناسوتي والهيئة الجسمانية . ولقد أجمع علماء التوحيد على تنزيه الله سبحانه عن قبول الحلول في الأجسام الناسوتية ، والتحيز بصفات الكيف والكم والابن والابعاد والجهات الست .

ولم يجوز أحد من العقلاء حتى علماء الطوائف المسيحية ، نسبة الجسم والتحيز لله تعالى ، كما توضح بجوابكم عند إيضاح عقائد المسيحيين بأنهم يعلمون أن الله تعالى ليس بجسم ، ويمتنع النظر إليه فلا يرى ولا تقع عليه الحوادث الجسمانية ، وإنه ليس بمحسوس بل هو أرفع عن المحسوس .. إلخ .

هل المسيح من الطوائف الثلاث ؟!

فعلم من هذا أيضا استحالة تشكل الله بالهيكل الإنساني ، إذ قد أثبت علماء الشرائع والأديان أنه لا يمكن التشكل بالأشكال الإنسانية لسوى الملائكة والجن والشيطان والفرق بين الملائكة وبين الطائفتين الآخرين أن الملائكة أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل بما شاءت . والجن والشياطين أجسام لطيفة نارية قادرة على التشكل بما شاءت بقدره الله تعالى وإرادته .

ولا خلاف في أن المسيح عليه السلام ليس من الطوائف الثلاث .
ثم لا داعي ولا موجب لتشكيل من تعزى إليه الصفة الإلهية بالصورة البشرية ! ولا حاجة لتضحية حياته فدية لنجاة المذنبين من عباده ! مع قدرته على عفوه عنهم من غير أن يجعل نفسه قربانا لمغفرة ذنوبهم ! كما أنه لا يمكن أن تعترى حالة الموت الذات الحية بالحياة الأبدية ، مع زعم القائلين بصلب المسيح وقلته من أيدي اليهود ! ولا مشاحة في أن النفس الحية تأبى الممات وتنفر منه ولا ترضى به بالطوع والاختيار ! كما لا ينكر إحساس النفوس الجسمانية بآلام الموت وفقد الحياة ، وقد ثبت تضجر السيد المسيح وجزعه عندما هم اليهود بقتله ، وأكثر الطلب والتضرع لمولاه بصرف ذلك عنه كما ورد ذلك بالأنجيل . فثبت بما توضح عدم تعقل ما يقال باعتقاد تشكل المسيح عليه السلام بالطور الناسوتي مع الاعتقاد بكونه أقنوما لاهوتيا كما لا يخفى .

والأعجب من ذلك كله فرض الذات الإلهية مجردة عن الحياة والنطق ، مؤلفة من قوى ثلاث متغايرة وهى وجوب وجودها لذاتها ، واقتزارها للحياة والنطق بغيرها ، يجعل المسيح هو القوة الناطقة الذاتية تأويلا منهم لقول الله عز وجل فى شأن عيسى عليه السلام : ﴿ وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ [النساء : ١٧] . فكيف يتصور وجود إله من غير حياة ولا نطق ؟! وكيف يمكن تجريد الذات الإلهية عن صفاتها الذاتية كالحياة والنطق ؟! وجعل هاتين الصفتين أقنومين قائمين تارة بذاتهما على القول بأن الأب غير الابن والابن غير الأب ، والروح غيرهما !! وتارة يجعلان قائمين بغيرهما على القول بأن الذات علة وجودهما على الدوام ، وأن الأب هو علة لوجود الابن والروح ! والقول مرة بأن الحياة والنطق ليسا بجوهرين غير الذات ، بل هما من خواص الذات وصفاتها ! ومرة بأن كل واحد منهما جوهر كما تكرر وقوع ذلك فى عدة مواضع بجوابكم .

هل يمكن الجمع بين الأضداد الثلاثة ؟!

وكيف يمكن الجمع بين هذه الأضداد مع استحالة توالى علتين مستقلتين فى الحكم متغايرتين على معلول واحد ؟! وهل يعقل قيام حياة ونطق بغير ذات ؟! فإذا كانتا من لوازمها فكيف يمكن الحكم بكونهما جوهرين مستقلين مع القول بكونهما من خواص الذات ، وإن الثلاثة واحد ، وأن الجوهر واحد لا يتعدد بتعدداتها ؟!

والأغرب جعل الصفات الذاتية الثبوتية لله عز وجل عبارة عن ثلاث : القدرة ، والحياة ، والنطق ، مع أن النطق ليس من الصفات السبع الذاتية عند علماء التوحيد بل إن النطق هو من خواص الحيوان ، ولذا كان يعبر عن الانسان بالحيوان الناطق . وقوة النطق مفطورة بقدرة الله تعالى فى كل نسمة من النسمات البشرية ، إن لم نقل فى كل حيوان لا أقله « كأتان بلعام » التى رأت بنور الكشف ، مالم يقدر بلعام على رؤيته ، ونطقت وكلمته تلومه على ضربها !! فكيف يفتقر الإله جل فى علاه لخاصة أبدعها فى جميع خلقه ؟! وتجريده تعالى عن باقى الصفات كالقدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث ، والقيام بالنفس ، والوحدانية ، والعلم ،

والارادة ؛ ثم سلب صفتي السمع ، والبصر ، اللتين هما من أجل الصفات العلمية الكمالية . ولا يتصور وجود إله مجرد عنهما ، إذا السمع والبصر مثبتون نسبتها لله تعالى في التوراة والانجيل في عدة مواضع ، كما أن السمع في الانسان كان من شروط النبوة ، إذ كان في الأنبياء عليهم السلام من كان مبتلى بشبه اللكنة والعمى ، ولم يكن فيهم مبتلى بالصمم ؛ فإذا كان السمع من صفات الكمال في البشر ، وأعظم الحواس ، إذ هو سبب النطق الذي هو عبارة عن تقليد الأصوات ، ولا يتحقق وجود النطق مع الصمم ، إذ كل مولود أصم أخرس . بخلاف غيره من الحواس ، فكيف يجوز سلب السمع والبصر من صفاته تعالى .

فبناء على ما ذكر وقياسا على عقائد الطوائف المسيحية يلزم أن تكون كل صفة من الصفات أقنوما قائما بذاته ! وجوهراً مستقلاً بصفاته ؛ ولا يخفى بطلان ذلك وفساده بسبب النواميس والشرائع والعقل والحكمة . ثم إذا تتبعنا كتب التوراة والانجيل المتداولة لا نجد بها ما يدل على قول المسيح أنه كلمة الله ! أى القوة الناطقة فيه عز وجل ! ولا أنه الأقنوم الثانى الذى لا يم قىام الذات إلا به ، ولا بأنه هو الكلمة التى أخذت الجسد وهى متحدة باللاهوت ولا مايقرب من صريح ذلك !

الكلمة .. كلمة التكوين !!

أما ماورد فى بعض الآيات الشريفة القرآنية ، من وصف الله عز وجل للسيد المسيح بالكلمة ، فهى كلمة التكوين ، وصيغة الأمر قوله عز وجل كن فيكون ، بدلالة الالتقاء ، إذ قال جل علاه : ﴿ ألقاها إلى مريم ﴾ (١) فثبت أن الكلمة الواردة فى الآية الشريفة ، هى لفظة كن ثم لا يخفى على علماء المنطق أنه لا يمكن استنباط المعنى من اللفظ بغير إحدى الدلالات الأصولية ، أو المنطقية أو الوضعية اللغوية إذا أردنا استنباط مدلول الكلمة بحسب الدلالات المذكورة لا نجد لها معنى سوى اللفظ ، كما هو ظاهر مدلول النصوص القرآنية أيضا فى هذا الصدد ، فتأويل اللفظ بغير معناه اللغوى الحقيقى أو المجازى عند عدم وجود القرائن والعلامات

(١) اسم السورة : النساء ، آية رقم ١٧١ .

والملاءمات^(١) الدالة على ذلك ، وتعذر أعمال الحقيقة يعد ضرباً من الهذيان والهذر ، إذ التأويل إن كان مستنداً إلى دليل فمقبول . وإلى شبه دليل فمفهوم . وإن كان لا دليل فباطل ! وحيث ثبت بما توضح أنه لا معنى للكلمة سوى اللفظ ! فلتوضحوا لنا بأى أوجه الدلالات استبطن علماء الطائفة المسيحية معنى القوة النطقية من مدلول الكلمة مع معارضة النصوص الصريحة لذلك « وعن أى الانبياء عليهم السلام ورد هذا المعنى أو الرواية !!! ثم فلنرجع إلى البحث عن معنى الروح : فلقد علم من عقائد الطائفة المسيحية أنهم يعنون بروح القدس : « حياة منبثقة من الذات مجردة عنها ! وتارة يزعمون أنها جوهر ! وتارة يقولون أنها عرض لازم للذات ! لا اعتبارهم بالظن الأخير أنها من خواص الذات واعتقادهم بالزعم الأول أنها جوهر على سبيل الانفراد .

ولا يخفى ما بين الزعمين والقولين من التباين والتضاد ، لأنها إن كانت جوهرأ فليست بعرض ! وإن كانت عرضاً فليست بجوهر ! وعلى كلا الحالين فلا تقوم بذاتها بل لا يتشخص وجودهم وقيامها إلا بالذات فلا يعقل وجود حياة من غير ذات !!

وعلى هذا لا يصح أن تكون جوهرأ قائماً بذاته كما لا يصح أن تكون أقنوماً معبوداً لذاته . ولا تنسب لها الألوهية لأنها متأثرة غير مؤثرة . لقولهم منبثقة أى مخلوقة غير خالقه ، تتأثر بالحوادث وتقبل التحيز ، بخلاف ذات الله تنزهت وتقدسست عن جميع ذلك .

الروح لا يعلم كنهها سوى مبدعها !!

ثم إذا نظرنا إلى معنى الروح لغة لانجدها سوى الحياة المودوعة فى الأشباح والمواليد لآجال معلومة ، ولا يعلم كنه حقيقتها سوى مبدعها جلّت حكمته ، وغاية مانطقت به الكتب المنزلة كونها من أمر الله . وأما الروح التى وردت فى بعض الآيات من السورة القرآنية ، فالمراد بها فى سورة مريم جبريل عليه السلام وهو قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾^(٢) وكما ورد فى سورة القدر : ﴿ تَنْزِيلَ الْمَلَائِكَةِ

(٢) سورة مريم الآية رقم : ١٧ .

(١) كانت بالأصل الملايمات .

والروح فيها ﴿١﴾ أى جبريل عليه السلام وأما ماورد في قوله تعالى : ﴿ وروح منه ﴾ (٢) أى خلق الله الحياة في عيسى عليه السلام بأمر صدر منه بغير واسطة النطفة الخارجة من بين الصلب والترائب كما أبدع الحياة والروح في السيد آدم عليه السلام من غير أب وأم ، استدلالا بقوله عز وجل ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ﴾ (٣) فلو لزم من جعل المولود المتولد من غير أب إلها للزم اتخاذ آدم لكونه ولد من غير أب ولا أم ، فجّل الخالق والمصور المبدع سبحانه عما يفترون . ثم قد دلت الصحف والكتب المنزلة على أن الروح مخلوقة بأمر الله ، وهى المؤاخذه عند الله ، بأعمال الجوارح الجسدية ، وهى المتنعة بالسعادة الابدية والمعذبة بالشقاوة السرمدية ، والمخلوق لا يكون خالفا والمأمور المكلف ليس بآمر مكلف ، وبذا صار لا طريق لمن يقول بالتثليث ويعتقد ألوهية المسيح : إلا أن يقول إن الإله هو شخص المسيح . هذا الجسمانى المشاهد ، أو يقال حل الإله بكليته أو بعض الإله أو جزء منه فيه والاقسام الثلاثة باطلة !!

فك جميع كتب المسيحيين نصوص على عدم رؤية الإله .. فيكف يؤك عيسى عليه السلام

- أما الأول فلانه منصوص بكتب المسيحيين عدم امكان رؤية الإله في الدنيا ولو كان إله العالم ، هو ذلك الجسم فحين قتله اليهود كقولهم كان ذلك قولاً بأنهم قتلوا إله العالم فكيف بقى العالم بعد ذلك بغير إله !!
- وأما الثانى وهو أن الإله بكليته حل في هذا الجسم ، فهو أيضا باطل لأن الإله إن لم يكن جسما ولا عرضا امتنع حلوله في الجسم ، وإن كان جسما فيكون حلوله في جسم آخر عبارة عن امتزاج أجزائه بأجزاء ذلك الجسم وذلك يوجب تفرق أجزاء ذلك الإله . وإن كان عرضا كان محتاجا إلى المحل والإله لا يحتاج إلى غيره وكل ذلك لا تجوزه صفة الألوهية !
- وأما الثالث وهو حلول بعض من الاله ، أو جزء من أجزائه فيه ، فيحال أيضا لأن ذلك الجزء إن كان معتبرا في اللاهوت ، فعند اتحاده بالغير

(١) سورة القدر : ٣ (٢) سورة النساء : ١٧١ (٣) سورة آل عمران : ٥٩

وجب أن لا يكون الإله الها ، وإن لم يكن معتبراً في تحقيق الألوهية لم يكن جزءاً من الإله ، وبذا ثبت فساد الأقسام الثلاثة .

ثم ومن حيث أنه لا يمكن أن يؤتى بآية من التوراة ، ولا ببنوة صريحة تعلن بأن الله هو ثلاثة أقانيم ، ولا أن المسيح عليه السلام أقنوم الكلمة . وغاية ما يستدل به المسيحيون على هذا الاعتقاد هي الرموز التي أوضحتها حضرتكم !!

وهذه الرموز فضلاً عن أنها قابلة لتفسيرات مختلفة ، بل وصريح عباراتها المرتبطة بها بعيدة عن التوجيه لمثل هذه العقائد كما سيأتى البيان ، فإنها ليست ببرهان قاطع على تعليم الثالوث مقابلة الآيات والبراهين الصريحة الدالة على وحدانية الله وأزليته وأبديته وبقائه ، وأنه ليس كمثله شيء ، لا في الذات ، ولا في الصفات ، يرى عن التجسم والتشكل . ولشهرة هذا الأمر في الكتب العتيقة والحديثة هو غير محتاج إلى نقل الشواهد .

وقد أثبت العلامة المحقق صاحب المكارم في كتابه (علم اليقين) أن استنباط تعليم الثالوث مانشأ إلا عن تعاليم الفلاسفة الهيلانيين والغنوسطيين في القرن الثاني فإن ثيوفيلوس أسقف أنطاكية استعمل كلمة (ثرياس) باليونانية ثم كان ترتليانوس أول من استعمل كلمة (ثرينياس) المرادفة لها ومعناها الثالوث . وفي الأيام السابقة للمجمع النيقاوى حصل جدال مستمر في هذا التعليم وعلى الخصوص في الشرق ، وحكمت الكنيسة على كثير من الآراء بأنها أراتيكية ، ومن جعلها آراء الايونيين الذين يعتقدون أن المسيح إنسان محض والسابليين الذين كانوا يعتقدون أن الآب والابن والروح القدس هي صور مختلفة أعلن بها الله نفسه للناس والأريوسيين الذين يعتقدون أن الابن ليس أزلياً كالآب بل هو مخلوق منه قبل العالم ، ولذلك هو دون الأب وخاضع له ، والمكذونيين الذين ينكرون كون روح القدس أقنوما .

وأما تعليم الكنيسة فكان قرره المجمع النيقاوى سنة ٣٢٥ ميلاديه وجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ وحكما بأن الابن والروح القدس مساويان

للأب ، وإن الابن مولود منذ الأزل من الأب ، وأن الروح القدس منبثق من الأب ، ومجمع طليطلة المنعقد سنة ٥٨٩ حكم بأن الروح القدس منبثق من الابن أيضا . وقد قبلت الكنيسة اللاتينية بأسرها هذه الزيادة بعد مائتين وأربعه وستين سنة وتمسكت بها ، وأما الكنيسة اليونانية فمع أنها كانت في أول الأمر ساكنة لا تقاوم وقد أقامت الحجة فيما بعد ، على تغيير قانون المجالس الأول وعدت ذلك بدعة ، وعبارة (من الابن أيضا) لا تزال من الموانع الكبرى للاتحاد بين الكنيسة اليونانية ، وبين الكنيسة الكاثوليكية ، وكتب اللوثريين والكنايس المصلحة ، أبقت تعليم الكنيسة الكاثوليكية على ما كان عليه .

وفي القرن الثالث عشر قد ضاؤ ذلك جمهور كبير من اللاهوتيين وعدة طوائف جديدة كالسوسينيانين والجرمانيين والموحدين والعموميين وغيرهم حاسبين ذلك مضادا للكتاب المقدس والعقل .

وقد أطلق سويد نبرغ الثالث على أقنوم المسيح معلما بثالوث ، ولكن لا ثالوث الأقانيم ، بل ثالوث الأقنوم ، وكان يفهم بذلك أن ماهو إلهي في طبيعة المسيح هو الآب ، وابن الإلهي الذي اتحد بناسوت المسيح هو الابن ، وإن الإلهي الذي انبثق منه هو الروح القدس ، ثم ومذهب العقليين قد أضعف بانتشاره لاعتقاد الثالوث بين عددا كثير من اللاهوتيين الجرمانيين .

وقد ذهب العالم كنت الشهير إلى أن الأب والابن والروح القدس إنما تدل على ثلاثة صفات أساسية في اللاهوت ، وهي القدرة والحكمة والمحبة ، أو على ثلاث فواعل عليا وهي الخلق ، والحفظ ، والضبط ، وقد حاول كل من هجن وشلنغ العالمين أن يجعلوا لتعليم الثالوث أساساً تحليلاً واقتدى بهما اللاهوتيون الجرمانيون المتأخرون .

وقد ذكر ابن خلدون في تاريخه المشهور إذا طالعه المطالع يرى العجب العجائب من الاختلافات الواقعة بين المسيحيين قديما وحديثا في كيفية الثالوث ، وقد ذكر نبذا كثيرة من ذلك بطرس البستاني العالم المسيحي ولن يلثم الخلاف .

شهود على ضياع التوراة والانجيل ..

ثم فلنرجع لما ذكرتموه حضرتكم : من أنه لا حقيقة لما يتوهمه أهل الاسلام ، من حصول تغيير وتبديل بكتب التوراة والانجيل لأوجه الصعوبات التي أوضحتوها . وبعد أن نستحسن فكرة جنابكم من نحو عدم جواز التغيير والتبديل بالكتب المنزلة ، كما تقضى بذلك ذمة كل متدين يعرف الله ويخشاه ، نقول إن سكوت السادة أهل الإسلام للمشاهد لمثل حضرتكم الآن عن البحث في الديانة المسيحية ، الذى منه حكمتهم ببساطتهم وعدم ميلهم للبحث فيها ، ماهر إلا لما حققوه من دقائق مذاهب وعقائد كل طائفة ، وما ثبت لديهم بعد استمرار المناظرات وقيام الدلائل ، اعتراف وشهادة علماء الطوائف المذكورة المحفوظة في مجلداتهم المطبوع أغلبها ، بل كلها ولا يجعلها إلا غير المطلع ، ومع تحقيق وثبوت الأمر بالتدقيق ، فلا اقتضى طبعا لمعاودة البحث فيه غير إيضاح مظاهر عند الحاجة إليه .

ووقوع التحريف والتغيير والتبديل بكتب العهد العتيق والحديث ، هذا أمر محقق عند علماء ومحققى ومؤرخى الطوائف المسيحية — الذين هم الأوائل — فى ضبط وتفسير تراجم العهدين وغيرهم . مثل يوسبيوس ، وهورن ، وميكاس ، وأرجن ، وادم كلارك ، وداكتر كى كات ، ووارد كاتلك ، وبى سيس ، واكستين ، وكامت ، وأى كلارك ، وكر يراستم ، وبلرمن ، وكروتيس ، ووالتن ، وتاملاين وكيو وهمتد ، ومل ، وهارود ، وأودن ، وكين بل ، وسايمن ، وتلى منت ، ويرى تيس ، ودوبن ، وأرى نيس ، وسرل ، وأبى فانيس ، وجيروم ، وغيرهم من العلماء والمؤرخين ، مثل : كرى كرى نازين زن ، وأيدجسوا وتيهو فلكت ، وكونهى مس ، ويوسى بيس وانهانى سيش ، واسى دوره .

متى كتبت كتب العهدين القديم والجديد بعد ضياعهما ؟!

وبعد أن تحقق لهم ضياع نسخة التوراة من صندوق الشهادة الذى كان موسى عليه السلام أمر بوضعها فيه وعدم طلوعها إلا فى كل سبعة

من السنين لاسماع بنى إسرائيل كما وضع كيفية وضعها في الصندوق بآية ٩ من الباب ٣١ تثنية . وكيفية ضياعها منه بآية ٩ باب ٨ من سفر الملوك الأول ذهب بعضهم إلى أن عزرا النبي كان عمل نسخة التوراة بعد انعدامها باعانة حجي ، وزكريا الرسولين . وقال كليمنس اسكندريانوس « أن الكتب السماوية ضاعت فالحم عزرا أن يكتبها مرة أخرى . انتهى » .

وقال : جانغل نركاتك في الصحيفة ١١٥ من كتابه المطبوع سنة ١٨٤٣ « اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية وكذا نسخ العهد العتيق ضاعت من أيدي عسكر بختنصر ، ولما ظهرت نقولها بواسطة عزرا النبي ضاعت تلك النقول أيضا في حادثة انتيوكس . انتهى كلامه » وقال لاردنر في الصحيفة ٥٢٢ من المجلد السابع من تفسيره « يقول يوسى بيس بالحزن التام أنه رأى بعينه أن الكنائس هدمت ، والكتب المقدسة أحرقت في الأسواق . انتهى » وقال دكتور كني كات في المجلد الرابع من إنسائي كلومدباريس في بيان بيل هكذا : « إن نسخ العهد العتيق التي هي موجودة كتبت ما بين سنة ١٠٠٠ وسنة ١٤٠٠ وأن جميع الكتب التي كانت كتبت في المائة السابعة والثامنة أهدمت بأمر محفل شورى اليهود لأنها كانت تخالف اعتمادهم مخالفة كثيرة . انتهى » وقال المحقق ولتن : « إن النسخ التي مضت على كتابتها ستائة سنة قلما توجد ، والتي مضت على كتابتها سبعمائة أو ثمانمائة سنة في غاية الندرة . انتهى » وحيث أن نقل جميع أقوال العلماء المسيحيين في هذا الشأن يحتاج إلى زمن ، وكثير من المجلدات فهذا القدر كاف الآن .

ثم فلنذكر اليسير من أقوالهم أيضا عن التراجم والفقرات التي صرحوا بتحريفها وزيادتها وحكموا بأنها جعلية واجبة الحذف . وبعض الكتب والآيات التي كانت مشكوكة وحكموا بتسليمها الهامية .

قال المحقق نورتن المشهور بحامى الانجيل في الصحيفة ٥٣ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٧٠ ، ٨٤ ، ٨٨ من كتابه بأن « جملة آيات من انجيل متى ومرقس ، ولوقا ويوحنا ، محرفة وجعلية ، وواجبة الحذف مثل : البابين الأولين من انجيل متى ، ومثل قصة يهوذا الأسخريوطى واثنى عشرة آية

من انجيل مرقس وغيرهم بالانجيل . انتهى » .

وقال : في الصحيفة ٦١ من كتابه هكذا « قد اختلط الكذب الروائي ببيان المعجزات التي نقلها الانجيلي والكتاب ضمه على طريقة المبالغة الشاعرية ، لكن تمييز الصدق عن الكذب في هذا الزمان عسير . انتهى » .

وقال : ليكارك وكوب وميكائلس ولسنك وتمين ومارش من الأئمة المسيحيين المفسرين هكذا : « لعل متى ولوقا ومرقس كان عندهم صحيفة واحدة باللسان العبري وكانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيها ونقلوا عنها ، فنقل متى كثيرا ، ولوقا ومرقس قليلا » ، وقال آدم كلارك في تفسيره بالمقدمة هكذا : « إن التفسير الأصلي المنسوب إلى تي شن انعدم والمنسوب إليه الآن مشكوك عند العلماء وشكهم حق . انتهى » .

وقال : هورن في المجلد الرابع من تفسيره نسخة سنة ١٨٢٢ بالصحيفة ٤٦٣ عن الترجمة اللاتينية هكذا : « وقعت التحريفات والالحاقات الكثيرة في هذه الترجمة من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر . انتهى » وقال في الصحيفة ٤٦٧ « لا بد أن يكون في بالك أن ترجمة من التراجم لم تحرف مثل اللاتينية ناقلوها من غير المبالاة أدخلوا فقرات بعض كتاب العهد الجديد في كتاب آخر وكذا أدخلوا عبارات من الحواشي في المتن » .

ولا يخفى على من طالع مقدمة كتاب المحقق المشهور جيروم أن ثمانية كتب من العهد العتيق كانت مشكوكة عند المسيحيين وغير مقبولة إلى سنة ٣٢٤ من الميلاد وهي (١) كتاب استير (٢) كتاب باروخ (٣) كتاب طوييا (٤) كتاب يهودية (٥) كتاب وزدم (٦) كتاب ايكليز ياستيكر (٧) كتاب المقايين الأول (٨) كتاب المقايين الثاني .

وفي سنة ٣٢٥ انعقد مجلس من العلماء المسيحيين بأمر السلطان قسطنطين في بلدة نائس للمشاورة عن هذه الكتب المشكوكة وحكموا بأن كتاب يهودية واجب التسليم . وأبقوا باقي الكتب المذكورة مشكوكة .

ثم في سنة ٣٦٤ انعقد مجلس لوديسيا وحكم العلماء بوجوب تسليم كتاب استير أيضا . وفي سنة ٣٩٧ انعقد مجلس كارتيج و كان المجتمعون

فيه مائة وسبعة وعشرين من العلماء المشهورين ، ومنهم المحقق اكستائين
فهؤلاء العلماء سلموا ماكان مشكوكا من الكتب الباقية لكنهم جعلوا كتاب
باروخ بمنزلة جزء من كتاب أرمياء بمقالة أن باروخ كان بمنزلة نائب
لأرمياء ، ثم انعقد بعد ذلك ثلاثة مجالس أخرى وهى « مجلس ترلو ، ومجلس
فلورنس ، ومجلس ترنت ، وقرروا أحكام المجالس السابقة وصارت الكتب
المذكورة مسلمة بين جمهور المسيحيين إلى مدة ألف ومائتى سنة .

ولما ظهرت فرقة بروتستنت رفضوا حكم أسلافهم فى كتاب باروخ ،
وكتاب طوييا ، وكتاب يهودية ، وكتاب وزدم ، وكتاب
ايكليزياستيكس ، وردوا أحكامهم فى جزء من كتاب استير ، وسلموا فى
جزء لأن هذا الكتاب كان ستة عشر بابا فسلموا الأبواب التسعة الأول ،
وثلاثة آيات من الباب العاشر وردوا عشرة آيات من هذا الباب ، والستة
أبواب الباقية ، وتمسكوا بوجوه منها أن يوسى ييس المؤرخ صرح فى الباب
٢٢ من كتابه الرابع أن هذه الكتب حرفت ، سيما الكتاب لمقايين وأن
اليهود يقولون : انها ليست الهامية ، والكنيسة الرومانية التى متبعوها
الآن أكثر من فرقة بروتستنت تسلم هذه الكتب من عهد المجالس الأخيرة
لهذا الحين ، ويعتقدون إنها الهامية واجبة التسليم وداخله فى ترجمتهم
اللاتينية المعبرة عنهم غاية الاعتبار .

فمن علم ذلك كيف يمكنه أن ينكر أن الكتب التى كانت غير مقبولة
إلى سنة ٣٢٤ بعد الميلاد لتحريفها وكونها غير الهامية جعلها الأسلاف
واجبة التسليم ، وأدخلوها فى الكتب المقدسة الالهامية ، وأجمع ألوف من
علمائهم على حقيقتها والهاميتها .



الجماع على ضرورة الخداع فك الدين !!

والكنيسة الرومانية بأسرها تصر على كونها الهامية لهذا الحين . وقد ردت ماردته منها فرقة بروتستنت بعد ألف ومائتي سنة من عهد اجماع السلف على تسليمها ، واستأصلتها عن مجلدات العهدين في مطبوعاتها التي انتشرت في أغلب بقاع الأرض ، ولما كان سلخ الكتب المذكورة حديثا من مجلدات كتب العهدين لا يخلو من الاعتراض قد جعلوها في كراسة قائمة بذاتها ، مع الاعتقاد بوجوب حذفهم ، وقد أثبت المؤرخون أن ادخال الخداع في الدين من القرون الأولى كان ضروريا ، كما قال موشم المؤرخ الشهير في بيان علماء القرن الثاني في الصحيفة ٦٥ من المجلد الأول من تاريخه المطبوع سنة ١٨٣٢ هكذا : (كان بين متبعي رأى أفلاطون وفيساغورس مقولة مشهورة ، أن الكذب والخداع لأجل أن يزداد الصدق وعبادة الله ليسا بجائزين فقط بل قابلان للتحسين ، وتعلم منهم يهود مصر هذه المقولة كما يظهر هذا جزما من كثير من الكتب القديمة ، ثم أثروا بهذا الغلط السوء في المسيحيين ؛ كما يظهر هذا الأمر من الكتب الكثيرة التي نسبت إلى الكبار كذبا . انتهى) . وقال يوسى يس في الباب الثامن عشر من الكتاب الرابع من تاريخه : (ذكر جستن الشهيد في مقابلة طريفون اليهودى أن عدة بشارات المسيح أسقطها اليهود من الكتب المقدسة . انتهى) وقال كريزاسم في تفسيره التاسع على انجيل متى (انمحي كثير من كتب الأنبياء لأن اليهود ضيعوا كتباً لأجل غفلتهم بل لأجل عدم ديانتهم ومزقوا بعضها وأحرقوا بعضها . انتهى) فلعل هذا القدر اليسير من أقوال المحققين كاف عن التطويل بذكر كثير منها . ومن تصفح الكتاب المعروف بالعتيقة بالتأني والتروى وهو ناصر للحق ظهر له حصول ذلك بشهادة ذات الكتاب ، وتحقق إليه أن بعد تسليم السيد

موسى عليه السلام نسخة التوراة لبني إسرائيل والوصية بحفظها في الصندوق والعمل بموجبها وكانت الطبقة الأولى على وصية موسى عليه السلام ، فلما انقضت هذه الطبقة ، وتغير حال بني اسرائيل ، وعبدوا الأصنام مصداقا لأخبار الله تعالى لموسى كما في الآية ١٦ من الباب ٣١ تنبية بأنهم بعد موت موسى عليه السلام يرتدون ويعبدون الآلهة الغريبة وصار لا حاجة لهم بالتوراة بل **ولمضادتها لأحكام عبادتهم الأصنام** قد أعدموها وكانوا هكذا في عبادة الآلهة الغريبة إلى زمن سليمان النبي عليه السلام . ولما سأل عن نسخة التوراة وأخبر بأن موسى كان وضعها بالصندوق وفتحها فلم يجد فيه غير اللوحين الحجر اللذين كانت الأحكام العشرة مكتوبة فيهما كما هو مصرح بالآية السابق إيضاها ! وصارت تشتد الانقلابات إلى آخر سلطنة سليمان النبي حتى ارتد هو — والعياذ بالله — في آخر عمره ، وعبد الأصنام بترغيب الأزواج ، كما في الآية الخامسة من الباب الحادى عشر ، سفر الملوك الأول . وبعد موته زاد الكفر وانقسمت الأسباط وصارت السلطنة الواحدة سلطنتين وصار رحبعام سلطانا على سطين ، وسميت سلطنة يهودا ويور بعام سلطانا على عشرة أسباط . وسميت السلطنة الاسرائيلية ، وارتدت هذه الأسباط العشرة جميعها ، وعبدوا الأصنام إلى مائتين وخمسين سنة ، ثم أبادهم الله بأن سلط عليهم الأشوريين فاسروهم وفرقوهم في الممالك ! وعمرؤا مملكتهم من الوثنيين ، وسميت أولادهم السامريين . ثم جلس على سرير سلطنة يهودا من موت سليمان النبي إلى ثلثمائة واثنين وستين سنة عشرون ملكا ، كانت شائعة بينهم عبادة الأصنام حتى صارت تعبد تحت كل شجرة وناحية .

وفي عهد آخذ سدت أبواب بيت المقدس ، وبنيت المذابح للبعلم في كل جانب من أورشليم ، واشتد الكفر في عهد منسا ، وبنى مذبح للأصنام في بيت المقدس أيضا . وهكذا كان الكفر في عهد آمون ابنه ، إلى أن جلس يوسف بن آمون ، وتاب هو وأراكيته واجتهدوا الغاية في ترويح المسألة الموسوية ، ومع شدة بحنة سبع عشرة سنة من ملكه ، لم يسمع ولم ير خبرا عن نسخة التوراة !!

وفي السنة الثامنة عشرة من سلطنته ادعى « حلقيا الكاهن أنه وجدها في بيت المقدس ، وأعطاهما شافان الكاهن » ولما قرأ على يوشيا الملك شق ثيابه للحزن على عصيان آبائه ، ومع ذلك ما كان اعتماد النسخة المذكورة إلا بمشورة امرأة تسمى « خلدة النبية » زوجة حارس الثياب ، كما هو مصرح به في الباب ٢٢ من سفر الملوك الثاني . وفي الباب ٣٤ من « أخبار الأيام » هذا مع ثبوت سبق نهب بيت المقدس مرتين قبل عهد أخذه وجعله بيتاً للأصنام ، وكانوا يدخلونه كل يوم للعبادة فيه عدة أجيال ، وعلى تقدير وجوده لها ، فإنه بعد موت يوشيا وجلس « ياهو حاز » عاد الكفر كما كان ، وتسلط عليه ملك مصر وأسرّه ، وأجلس أخاه وكان مرتداً أيضاً ، وبعد موته جلس ابنه وكان مثلهم في الكفر ، وأسرّه بختنصر ونهب وحرق بيت المقدس ، وبيت الملك ، وبيوت جميع أكابر أورشليم ، وهدم أسوارها وأجلس عمه وكان مرتداً وثنياً ! وقد ثبت للمحققين من العلماء المسيحيين والمؤرخين انعدام النسخة المذكورة أيضاً من أيدي العسكر في هذه الواقعة ، ثم ومذكور حادثة أخرى في الباب الأول للمقايين الأول وهي هكذا : (لما فتح انتيوكس ملك ملوك الفرنج أورشليم أحرق جميع نسخ العهد العتيق التي حصلت له من أى مكان بعدما قطعها وأمر أن من يوجد عنده نسخة أو يؤدى رسم الشريعة يقتل ، وكان تحقيق هذا الأمر في كل شهر وكان يقتل كل من وجد عنده نسخة من الكتب أو أدى رسماً من رسوم الشريعة وتعدم تلك النسخة . انتهى) . ثم وحصل عشر قتلات عظيمة بعد ذلك كانت سبباً موجبا لقلّة النسخ وسبباً لانتساع مجال التحريف .

أولها : في سنة ٦٤ ميلادية في عهد السلطان نيروا ، واستشهد فيها بطرس الحواري وزوجته . وقتل بولس في دار السلطنة ، وكان التفوه بالمسيحية يعدّ جرماً عظيماً .

والثاني في عهد السلطان « روسقيان » وكان أشدّ عداوة من نيروا للديانة المذكورة ، وأمر بتعميم القتل حتى كاد يستأصل هذه الملة ، وأجلى يوحنا الحواري ، وقتل فيليوس كلمينس .

والثالث في عهد السلطان ترجان سنة ١٠١ ، وبقي الحال هكذا إلى سنة ١١٩ ، وقتل « فيسة إكنائوس » أسقف كورنتيه « وكليمنست » أسقف الروم و « شمعون » أسقف أورشليم .

والرابع في عهد السلطان « انتونيش » وابتداء القتل من سنة ١٦١ إلى سنة ١٧٢ .

والخامس في عهد السلطان سويرس سنة ٢٠٢ وقتل ألوف من ديارفرانس ومصر وكارتهيج .

والسادس في عهد السلطان « مكسيم » سنة ٢٢٧ وقتل العلماء لتنقاد إليه العوام ، وقتل البابا « يونتيانوس » والبابا « انتيروس » .
والسابع في عهد السلطان ديشس وصمم على محو الملة المسيحية ، وارتد كثير من المسيحيين وعبدوا الأصنام .

والثامن في عهد السلطان ولريان سنة ٢٥٧ . وأمر بقتل خدام الدين وأذل الاعزة وسلب أموال الناس وأجلاهم عن الأوطان . ومن يبقى مسيحيا يسجن في سلاسل ، ويستعمل في أمور الدولة .

والتاسع في عهد السلطان أريلين « وابتدأؤه في سنة ٢٧٤ .

والعاشر سنة ٣٠٢ وأحرقت بلدة فريجيا دفعة واحدة ولم يبق فيها واحد مسيحي . وفي سنة ٣٠٣ أمر السلطان « ديوكليشين » بمحو وجود الكتب الدينية عن صفحة العالم . وهدم الكنائس ، وأحرق مافيها . وشدد في عدم اجتماع أحد للعبادة .

وبالجملة فإن علماء الإسلام بل وعلماء الطوائف المسيحية قد حققوا الأمر بالتدقيق ووقفوا على ماأصاب الكتب العتيقة والحديثة من تناول الأيدي ، وكل من علماء الفريقين أثبت مآظهر إليه في مجلدات مطبوعة قديما وحديثا ، ومهما اختلفت الغايات والمقاصد فالأمر واضح بنتيجة التحريف والتغير والتبديل ، وقد أثبتته العلماء المسيحيون في كتبهم ، فمن شاء فليرجع لمطالعة تفاسيرهم ومجلداتهم وتاريخ يوسفيس المعتمد تاريخه عند علماء المسيحية . ويطالع تاريخ موشم المؤرخ أيضا .

الشريعة تخرج من صهيون !!

ثم على تقدير عدم التغيير والتبديل بالكتب المذكورة نقول أن الآيات التي يتمسك بها عامة المسيحيين للدلالة على ألوهية السيد المسيح هي التي ذكرتموها حضرتكم على أن من تأمل في عباراتها المرتبطة بها وهو موجه أفكاره لمعرفة الحق بدون تصميم على تأييد الفهم المكتسب حفظاً وعادة عن الآباء . مهما ظهر الأمر فإنه يتضح له بعد العبارة عما تؤولت إليه ، وأن صريح معناها لا يتعلق بشيء من جهة المسيح عليه السلام ألبتة ، وهي كالقول المنسوب لاشعيا النبي عليه السلام في ص ٢ « إن من صهيون تخرج الشريعة ومن اورشليم كلمة الرب فيقضى بين الأمم . إلخ » . فمعناه الصريح الواضح بسياق العبارة من الاصحاح الأول إلى آخر الاصحاح الثالث !! إن ذلك نبوءة عن نزع شريعة وأحكام الضلال والفسق وعبادة الأصنام من صهيون وأورشليم بكلمة الله أى بأمره ، لا عن ظهور شريعة منهم لقوله بالاصحاح الأول ٢ : اسمعى أيتها السموات ، وأيتها الأرض ، لأن الرب يتكلم ربيت بنين وانشأتهم أما هم فعصوا على ٣ الثور يعرف قانيه ، والحمار يعرف صاحبه ، أما اسرائيل فلا يعرف شعبي ! لا يفهم !! ويل للأمة الخاطئة ! الشعب الثقيل الإثم نسل فاعلى الشر ، أولاد مفسدين ، تركوا الرب واستهانوا بقدوس اسرائيل . ارتدوا إلى الورى ، علام تضربون ، بعد تزدادون زيفانا ، كل الرأس مريض ، وكل القلب سقيم ، إلى قوله : ٧ بلادكم خربة ، مدنكم محرقة ، أرضكم تأكلها غرباء إلخ ٨ . فبقيت ابنة صهيون كمظلة إلى قوله ٩ لولا أبقي لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سدوم وعمورة إلخ ٢٤ يقول السيد رب الجنود عزيز اسرائيل آه أنى أستريح من خصمائى وأنتقم من أعدائى ٢٥ وأرد يدي عليك وأنقى زغلك كأنه بالبورق ، وأنزع كل قصد

يرك .. إلخ ٢٨ ، وهلاك المذنبين والخطاة يكون سواء تاركو الرب
يفنون ٢٩ ويصير القوى مشاقة وعمله شرار فيحرقان كلاهما معا ، وليس
من يطغى انتهى الاصحاح الأول .

* * *

إِنَّكَ أَنْتَقِمَ مِنْ أَعْدَائِكَ

وهذا الاصحاح الثانى : « ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال ويرفع فوق التلال وتجرى إليه كل الأمم وتصير شعوب كثيرة يقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرفه ونسلك فى سبيله لأن من صهيون تخرج الشريعة . إلخ » أى بعد وقوع الخراب والحريق وأكل الغرباء أرض صهيون ، التى لولا أبقى الله منها بقية صغيرة لكانت مثل : « سدوم وعمورة » ونزع أحكام وأعمال الضلال المعبر عنها بالزغل والقصدير التى كانت شريعتهم — وقتذاك — يكون فى آخر ذلك أن البعض يخشع ويرجع لله كما أفصح ذلك بقوله فى الآية ١٠ وبالآية ١٧ من هذا الباب ، ويسمون الرب وحده فى ذلك اليوم ، وتزول الأوثان إلخ . كما يتضح لمن يطالع الباب المذكور بحروفه ٤ فيقضى بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين (يعنى يقضى بالانتقام من الظالم انصافا للمظلوم لقوله بالاصحاح الأول آه إني أنتقم من أعدائي . وقوله وهلاك المذنبين والخطاة يكون سواء وتاركوا الرب يفنون) فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل ، لا ترفع أمة على أمة سيفاً ، ولا يتعلمون الحرب فيما بعد إلخ . (يعنى الجبابة الموعود بهلاكهم وقت ذاك فى صهيون وأورشليم) ١٧ فينخفض تشامخ الانسان وتوضع رفعة الناس ويسمعون الرب وحده فى ذلك اليوم ١٨ وتزول الأوثان بتمامها ١٩ ويدخلون فى مغاور الصخور وحفائر التراب من أمام هية الرب إلخ ٢٠ فى ذلك اليوم يطرح الانسان أوثانه الفضية والذهبية ٢١ ليدخل فى نقر الصخور إلى شقوق المعازل من أمام هية الرب انتهى الاصحاح الثانى .

وهذا الاصحاح الثالث : هو ذا السيد رب الجنود ينزع من أورشليم

ومن يهود السند والركن (أى القانون أو الشريعة) ٢ الجبار ورجل الحرب
القاضى والنبي والعراف والشيخ ٣ رئيس الخمسين والمعتبر والمشير والماهر
إلى قوله ١٢ ياشعبي مرشدوك مضلون ويبلغون طريق مسالك ١٣ قد
انتصب الرب للمخاصمة وهو قائم لدينونة إلى قوله ١٦ يقول الرب من
أجل أن بنات صهيون « أى وهذا الانتقام والغضب من أجل أن بنات
صهيون أيضا » يتشاحن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن
إنخ ١٧ يصلع الرب هامة بنات صهيون ويعرى الرب عورتهم ١٨ ينزع
السيد فى ذلك اليوم زينة الخلاخل والصفائر والأهلة إلى قوله ٢٥ رجالك
يقطعون بالسيف وأبطالك فى الحرب إنخ فتمسك سبع نساء برجل واحد
فى ذلك اليوم قائلات نأكل خبزنا ونلبس ثيابنا لتدع اسمك فقط علينا انزع
عارنا ... إنخ .

هل عيسى ناصرك أم لا ؟!

فصريح هذه العبارة الواضحة ارتباط بعضها ببعض من الاصحاب
الأول لآخر الاصحاب الثالث هو عتاب ووعيد لقوم صهيون وأورشليم ،
على كفرهم وسوء أعمالهم وفسق بناتهم وتجاهرهم بالعصيان ، وماذكر
بهذه الآيات مع عدم وقوع الحوادث والأحوال الواضحة بها فى زمن
ظهور السيد المسيح عليه السلام يعارض نسبتها للاخبار عنه بجملة
وجوه .

● أولها أنه لم يوجد بالكتب الصحيحة ولا بأخبار الأنبياء والمرسلين
أن المسيح يعرف أو يكنى بجبل بيت الرب ، ولا أن شريعته تعرف بشريعة
صهيون أو أورشليم ، مع ما قيل أنه ناصرى نسبة لبلدة الناصرة ، ولا قال
أحد بأن أيام بعثته وظهور شريعته تسمى بآخر الأيام .

● الثانى أنه لم يحصل طبع السيوف سككا والرماح مناجل فى عهد
ظهوره ، بل بحسب ما قيل إنها كانت موجودة لآخر أيامه ، وأنه طعن فى
جنبه الشريف بواحد منها ، وذلك يعارض إطلاق هذه العبارة على زمن
من ظهوره .

● الثالث أنه لم تنقطع الحروب بين الأمم بعد ظهور شريعته عليه السلام حتى يتم مصداق قوله : « لا ترفع أمة على أمة سيفاً ، ولا يتعلمون الحرب فيما بعد ، وإذاً لا مشاحة في أن هذه العبارة لا تعلق لها بالأخبار عن زمن ظهور شريعته ، ولا يتصور انطباق مصداقها إلا إذا وجهت المعنى على هلاك وفناء القوم الذين كانوا موجودين حال التنبيه عنهم في صهيون وأورشليم ، إذ بحصول فنائهم وانقراض أممهم لا يكون منهم من يرفع السيف ويتعلم الحرب بعد ، وجائز أن أعداءهم الغرباء الموعودين باغتنام بلادهم يتلفون آلات حروبهم من سيوف ورماح ! وبذلك يتم مصداق العبارة القاضية بطبع السيوف والرماح وانقطاع الحروب .

● الرابع أن اليهود لم يصغوا لتعاليمه عليه السلام ولم تأت الأنجيل بما يستدل به على أنهم كانوا يرفعون خصوماتهم إليه للقضاء بينهم والاقتصاص من الظالم انصافاً للمظلوم منهم حتى يتم مصداق قوله فيقضى بين الأمم وينصف الكثيرين ، بل الذى ثبت بالأنجيل نفورهم منه والخوض في أعماله ونسبتها لرئيس الشياطين ، حتى أن التلاميذ كانوا أحياناً يرتابون ولم يفهموا أقواله .

● الخامس أنه لم يهرب أحد في حفائر ولا نقر في عهد ظهور السيد المسيح ، ولا أخبرت الأنجيل بزوال الأوثان بتمامها عند بعثته ، بل الذى ثبت هو هروب يوسف به إلى مصر من هيرودس ، وأنه كان يتوارى من اليهود أحياناً حتى أتى وقت الصلب الذى يقولونه ، ولم تنقطع عبادة الأوثان بل ترفت الصنائع في أعمال التماثيل والصور وصارت تحترم في أغلب المعابد^(١) . [انظر هامش الصفحة التالية] .

(١) ●● هذه الوثيقة نعرضها لمن أراد أن يعبر حيث أن هناك لوحان بابليان تابعان إلى مجموعة السجلات المكتوبة بالخط الآشورى التى اكتشفت بواسطة الحفارين الألمانين في سنة ١٩٠٣ — ١٩٠٤ في كاله سيرجات قاعدة الآشوريين الأقدمين وهما يتبعان إلى مكتبة هؤلاء الآشوريين التى انشئت في القرن التاسع قبل الميلاد ، أو قبل ذلك . وهما مع ذلك صورتان طبق الأصل من ألواح بابلية أقدم من ذلك .

ومن هذين اللوحين يمكننا أن نعرف أن حكاية آلام المسيح ليست أول حكاية عرفها الإنسان من هذا الصنف منذ الخليقة . وتسهلاً على القارئ الحبيب وتوثيقاً لما نقول نقول =

= الآتي من عدد يناير ١٩٢٢ على وجه التقريب من مجلة « الكوست » التي هي مجلة مسيحية بحتة .

رواية الآلام البابلية	حكاية الآلام المسيحية
● يساق بيل أسيراً	● يساق عيسى أسيراً
● يحاكم بيل في المنزل على الرابية « غرفة المحاكمة »	● يحاكم عيسى في منزل رئيس الكهنة
● يضرب بيل	● يجلد عيسى
● يساق مع بيل شريوان أحدهما يقتل والآخر يطلق سراحه .	● يساق مع عيسى شريوان يعدمان وآخر « باراباس » يطلق سراحه .
● عندما يصعد بيل على الرابية تنزلزل المدينة وتحدث فيها مواقع .	● عند موت عيسى يمزق حجاب الهيكل وتنزلزل الأرض وتتشقق الصخور وتفتح القبور وتخرج الأموات إلى المدينة المقدسة .
● تؤخذ ملابس بيل	● تقسم العساكر ملابس عيسى
● تمسح امرأة الدم التابع من قلب بيل أثر خروج السلاح (حربة ؟)	● يطعن عيسى بحربة في جنبه ويخرج دم وماء — تأتي مريم المجدلية وامرأتان أخريان « الغسل » وتحنيط الجثة .
● ينزل بيل تحت الرابية بعيداً عن الشمس والنور وتذهب عنه الحياة .	● يدخل عيسى في القبر داخل الصخرة ويذهب تحت إلى قسم الأموات ويوزر جهنم
● يلاحظ الحراس بيل وهو سجين في معقل الرابية .	● يوضع الحراس على قبر عيسى .
● تجلس آلهة مع بيل قد آتت لتحتي به .	● مريم المجدلية ومريم الأخرى تجلسان أمام القبر .
● يبحثون عن بيل في أي مكان هو مقم خصوصاً امرأة باكية تبحث عنه في المقبرة عندما يؤخذ تصبح مولولة « آه بالخي آخي بالخي » .	● تأتي النساء خصوصاً مريم المجدلية إلى القبر ليبحثن عن عيسى خلف باب القبر فتقف مريم باكية أمام القبر الحالي لأنهم أخذوا سيدها بعيداً .
● يرجع بيل ثانياً إلى الحياة « كشمس الربيع » ثم يخرج من الرابية .	● رجوع عيسى إلى الحياة وخروجه من القبر في « صباح الأحد » .
● والعهد الأكبر عند البابليين وهو رأس السنة يكون في مارس في زمن الاعتدال الربيعي ويحتفل به لأن فيه كان انتصاره على قوات الظلام .	● عيده الذي يكون في الاعتدال الربيعي تقريباً يحيى ويعظم أيضاً كانتصار له على قوات الظلام .

● هذه هي حكاية الآلام المسيحية الحديثة ، وكيفية تقارنها مع رواية بابل القديمة ، ويتضح من ذلك أنه منذ ألف سنة أو أكثر قبل ظهور المسيح ، كانت هناك حكاية ، في العالم القديم تشابه حكاية هذا النبي ، وكان لها اعتقاد عظيم في أقدسة هؤلاء الناس . [يرجع إلى كتاب : إيقاظ الغرب للإسلام صفحات ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١]

● السادس أن الحرب والحريق المذكورين بالعبرة المذكورة واغتنام الغرباء لأرض صهيون وأورشليم قد وقع في عهد التنبؤ عنهم كما لا يخفى ذلك على من تأمل في الأسفار العتيقة والتواريخ الصحيحة ، ولم يثبت حصول شيء من ذلك في زمن المسيح عليه السلام . وكذا لم تخبر الأنجيل بحصول شيء مما ذكر بالآيات المذكورة عن بنات صهيون في زمن ظهور شريعته عليه السلام ، من نزع زينتهم ، وعرى عورتهم ، واجتماع كل سبعة نسوة منهم على رجل واحد .

أحكام الإنجيل الواردة في القرآن الكريم لاينكرها إلا كافر !!

فظهر بذلك أنه لا علاقة للأحوال المذكورة في الاصحاحات الثلاثة بخبر ظهور شريعة السيد المسيح عليه السلام ، وأن لفظة (تخرج) هي على ظاهر حقيقتها .. يعنى تنزع كما صرح بها في الاصحاح الثالث بقوله : (ينزع من أورشليم ومن يهود السند والركن) وما السند والركن الاقانون أو شريعة الأحكام القائمة فيهم وقتذاك . وعلى أى الحالات فإن بعثة المسيح عليه السلام ، ورسالته بشريعة وأحكام الانجيل الشريف الوارد ذكره بالقرآن المجيد ، لا ينكرها إلا كافر أو عنيد ، وعندنا لا يكون الرجل مسلماً ومؤمناً إلا إذا آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، فعلى ذلك إذا كانت لفظة : (من صهيون تخرج الشريعة) هي بحسب ماأوله المسيحيون عن ظهور شريعة المسيح ، وهذا ماهو إلا إقرار بنبوته ، وحدوث بعثته ، وظهور شريعته للأمم المبعوث إليها ، كما بعثت الأنبياء السابقة قبله عليه وعليهم السلام ، فذلك لاختلاف فيه ، والاختلاف الواقع بين أهل الإسلام وطوائف المسيحية ، هو فيما ينسبونه إليه من الأقنومية واللاهوتية . ولنترك النظر فيما أوضحنا من الوجوه المعارضة للمعنى التي وجهت إليه عبارات الاصحاحات المذكورة ، لتأمل ونقد أولى الذكاء ، الذين لا يخشون لوماً في الانتصار للحق ، ونرجع للبحث في الألفاظ المقامة دليلاً على ألوهية المسيح ، وقول حضرتكم أن الأنبياء العظام تنبأوا عن بيعه بالثلاثين فضة أو تسليمه للصلب وقسمة الثياب ونحوها ،

فإن من اطلع على اضطراب أقوال علماء الطوائف المسيحية في مثل هذه الألفاظ ، علم له عدم الوثوق بصحتها ، فقد قال المحق هورن المشهور في الصحيفة ٣٨٥ و ٣٨٦ من المجلد الثاني من تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢ عن قول متى الحواري : (وحينئذ كمل قول النبي أرميا حيث قال فقبضوا الدراهم الثلاثين من الثمن) هكذا في هذا النقل اشكال جداً لأنه لا يوجد في كتاب أرميا مثل هذه الألفاظ ، يوجد في الآية ١٣ من الباب ١١ من كتاب زكريا ما يشابه ذلك ، لكن لا يطابق ألفاظ متى ألفاظه انتهى .

وقال بعضهم : « إنه وقع الغلط في نسخة متى وكتب الكاتب أرميا موضع زكريا أو أن هذا اللفظ الخاطئ . انتهى » وقال هورن في المجلد الثاني من تفسيره بالصحيفة ٣٣٠ و ٣٣١ عن عبارة : « واقتسموا لباسي واقترعوا على قميصي » إنها الحاقية واجبة الحذف ، وحذفها « كرسباخ » المفسر بعد مائت عند كذبا قطعاً انتهى .

وقال مثله آدم كلارك وغيره من المحققين ، ولعل هذا البحث من العلماء المسيحية كاف عن التطويل بشرح جميع أقوالهم .

ثم عما ذكرتموه حضرتكم من الاستدلال باصحاح ٩ لأشعيا النبي قوله : « لأن صبيا ولد لنا وابنا أعطينا وصارت رياسته على منكبيه ويدعى اسمه عجيباً » إلخ فإن من تأمل في سياق هذه العبارة المرتبطة ببعضها من أول الاصحاح ٧ لآخر الاصحاح ٩ المذكور ظهر له جليا أن المعنى غير ماوجهت إليه ، وأن النبوة المذكورة هي كانت من أحاز الملك عن مولود يولد لأشعيا النبي وأن كلام أشعيا النبي في هذا المعنى هو عن المولود المذكور كما هو مصرح به فصيحا بقوله في الآية ١٠ من الاصحاح ٧ (ثم عاد الرب فكلم آحاز قائلا ١١ أطلب لنفسك آية إلخ ١٢ فقال آحاز لا أطلب ولا أجرب الرب إلى قوله ١٤ ولكن يعطيك السيد نفسه آية — يعني يأتي الله بالآية من قبل نفسه بلا طلب لامتناع « آحاز » عن الطلب لا الله نفسه يكون آية كما أول المؤولون لما في ذلك من نسبة العجز إليه تعالى واستحالته — ها العذراء

تجبل وتلد إبنا وتدعو اسمه عمانوئيل زبدا وعسلا يأكل متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير ١٦ لأن قبل أن يعرف الصبي أن يرفض الشر ويختار الخير تخطى الأرض التي أنت خاشى من ملكها .. إلخ) . وبالأصحاح ٨ قول أشعيا النبي (قال لى الرب خذ لنفسك لوحا كبيرا واكتب عليه بقلم إنسان لمهير شلال حاش بزو أن أشهد لنفسى شاهدين أمهين أوربا الكاهن ، وزكريا بن بريحيا ٣ فاقتربت إلى « النبية » فحبلت وولدت ابنا فقال لى الرب ادعى اسمه لمهير شلال حاش بز لأن قبل أن يعرف الصبي أن يدعو يالئى يأمى تحمل ثروة دمشق وغنيمة السامرة قدام ملك أشور ، ثم عاد الرب يكلمنى أيضا ٦ لأن هذا الشعب رذل مياه شلوه الجارية بسكون وسربرصين وابن رمليا ٧ لذلك هوذا السيد يصعد عليهم مياه النهر القوية والكثيرة ملك أشور وكل مجده فيصعد فوق جميع مجاريه ويجرى فوق جميع شطوطه ٨ ويندفق إلى يهوذا يفيض ويعبر يبلغ العنق ويكون بسط جناحيه ملء عرض بلادك ياعما نوئيل إلخ .

فالصرخ الظاهر لكل مطلع أن الصبي المولود الذاكر عنه بالأصحاح ٩ هو القائل عن آحاز الملك بالأصحاح ٧ وهو ذاته الذى حبلت به وولده النبىة القائل عنها أشعيا النبى (فاقتربت النبىة فحبلت وولدت) وهى زوجته المعبر عنها مرة بالعدراء ، وأخرى « بالنبية » كما ثبت ذلك للعالم المحقق داكترينس حيث قال فى تفسيره : « إن أشعيا النبى يريد بالعدراء زوجته الشابة » وهذا المولود هو الذى أمره الله بكتابة اسمه فى اللوح وتسميته بالاسم العجيب ، ومع تقييد صفة هذا المولود المذكور بالأصحاحات الثلاثة بهذا الشرط أنه قبل أن يميز الخير من الشر تخطى الأرض الخاشى آحاز من ملكها وثبوت حصول خلو الأرض المذكورة وحمل ثروة دمشق وغنيمة السامرة فى عهد آحاز الملك قبل تمييز الصبي المذكور كما هو واضح تفصيلات ذلك بالبواب ١٦ من سفر الملوك الثانى ، فلا مسوغ لتعقل توجيه لفظ هذا النبى على السيد المسيح ، إذا لا يخفى على العارفين أن بين زمن آحاز الملك الذى وقع فيه مصداق هذه العبارات ، وبين ولادة المسيح سبعمائة وواحد وعشرون سنة .

ماهد ترجمة كلمة العذراء ؟!

كما أثبت جميع ذلك العبر العلامة صاحب « اظهر الحق » وأن علماء ومفسرى طوائف المسيحيين ترجموا لفظة العذراء فى كلام أشعيا النبى بالمرأة الشابة فى التراجم اليونانية الثلاثة أعنى ترجمة أيكويلا وترجمة تهيودشن ، وترجمة سيمكس .

وقال العالم فرى فى كتابه الذى صنفه فى بيان اللغات العبرانية أن لفظ عذراء يطلق على المرأة الشابة والبكر أيضا ، وعلماء اليهود الذين هم أدرى باللغة العبرانية المذكورة يقولون إنها تطلق على كل شابة سواء كانت بكرا أو غير بكر ، وذلك مطابق لما يفيد قول أشعيا النبى فى غير موضع ، بأن لفظة العذراء لا تنقيد بالاطلاق على أم المسيح عليه وعليها السلام فقط ، بل تطلق على غيرها وعلى كل شابة ، ومن ذلك قوله فى الباب ٤٩ (احبل على التراب أيتها العذراء ابنة بابل) وقوله بالباب ٦٢ (كما يتزوج الشاب عذراء يعنى شأنه يتزوجك بنوك) ثم وظاهر أن لفظة عمانوئيل هى خاصة باسم ذلك المولود العجيب لارتباطه به بالباب المذكور ومخاطبة أشعيا بالاشارة إليه فى الآية ٨ باب ٩ بقوله (ملء عرض بلادك ياعمانوئيل) لأنه لا معنى لتوجيه لفظة واحدة كهذه على السيد المسيح دون باقى القصة الطويلة التى غاية مافىها هو إخبار عن تغلب ملك أشور بقوة جنوده على رحين وفقح بن رمليا الذين كانوا مضايقين آحاز الملك معبرا عن قوة الجنود وانتشارهم بالنهر والفيضان ولحوه ، كما هو واضح لكل مطلع يقصد الحق .

وبذلك ظهر أن اسم عمانوئيل فى هذه القصة لا يقبل التوجيه على المسيح ، إذ لم يكن له بلاد يضرب المثل بعرضها حتى ينطبق عليه مصداق قوله ملء عرض بلادك ياعمانوئيل ، خصوصا وأنه أسمى أحد المسيح عليه السلام بعمانوئيل ، لا أمه ، ولا يوسف النجار اللذين ربياه ولا غيرهما بل سمياه يسوع ، كما أن الملك الذى ظهر ليوسف فى الحلم قال : وتدعو اسمه يسوع ، وكذا قول جبرائيل لأمه (ستحبلين وتلدن ابنا وتسميه يسوع) كما بانجيل متى ، وانجيل لوقا ولم يدع المسيح عليه السلام فى حين من الأحيان أن اسمه عمانوئيل . وبالجمله فإن القصة الواقع فيها هذا القول

تأبى أن تكون مصداقها مولد السيد المسيح ، لأن تفصيلاتها الواضحة
 بالبَاب ١٦ من سفر الملوك الثاني ناطقة بأن جاء رحين ملك آرام وققق
 ملك اسرائيل إلى اورشليم لمحاربة آحاز ملك يهودا فخاف بخوفا شديدا
 منها ، فأوحى الله إلى أشعيا أن قل لآحاز لا تخف فإنهما لا يقدران عليك
 وستزول سلطتهما ، وبين علامة خراب ملكهما بأن امرأة شابة تحبل وتلد
 الأبن الذى سماه ، وقبل أن يميز هذا الابن الخير من الشر تخرب هاتان
 المملكتان ، وقد حصل ذلك فى حينه كما توضح آفا فمن شاء فليطالع سفر
 الملوك لتثبت له الحقيقة .

ثم إن الآيات التى أوضحتوها حضرتكم من الاصحاح ٣٥ لاشعيا
 النبى بهذه الألفاظ : « هالهكم يأتى بانتقام الجزاء والله ذاته هو يأتى
 ويخلصكم » إلخ . وبالضرورة أن حضرتكم نقلتم ذلك بحروفه من الكتاب
 المقدس بالضبط ، كما هو موثوق به من مثل حضرتكم من أنه يحافظ الغاية
 على ضبط الآيات المقدسة ، كما هى بحروفها بغير زيادة ولا نقصان ،
 وبمضاهاة هذه الألفاظ على الوارد بكتاب التوراة والانجيل الموجودين عندنا
 من النسخة المطبوعة ببيروت سنة ١٨٨١ طبعة ثالثة ، وجد الوارد به
 هكذا : (هو ذا الهكم الانتقام يأتى جزاء الله يأتى ويخلصكم) . وباطلاع
 حضرتكم على صور نسخة الكتاب المذكور الموجود كثير منها بالكتبخانة
 الأمريكية بالأقصر ، ومضاهاة هذه الألفاظ على الوارد بالكتاب الذى نقلتم
 منه جنابكم ، ومعرفة الزمن القليل الذى بين الطبعتين ، يظهر لكم عدم
 انقطاع عادة التحريف لهذا الحين ، ولا يعزب عن معارف حضرتكم الفرق
 الكبير الذى يحصل بزيادة حرف الواو على لفظة (الله) وزيادة لفظة
 (ذاته) وتحويل المعنى تحويلا بليغا .

ومع ذلك فإن عبارة هذا الاصحاح ظاهر من معناها الصريح لمن
 يتأمل ويتروى أنها تشير إلى بشارة شعب اورشليم بالنجاة والخلاص من
 يد تجاريب ملك آشور بعد ياس خرقيا ملك اورشليم ومضايقته الشديدة ،
 كما وضع ذلك باصحاح ٣٦ ، ٣٧ بغاية التنوير . وبالمثل فإن قوله
 بالاصحاح ٤٠ : (على جبل على اصعدى يامبشرة صهيون ، ارفع صوتك
 بقوة يامبشر اورشليم) ظاهر جليا أنه ترنم وابتهاج من باب التحدث بالنعمة

التي شملتهم من الله تعالى بنجاتهم وهلاك قوم سنجاريب ، وموته بضربة الملك بعد محاصرتهم واشرافهم على السقوط كما هو واضح تفصيلات ذلك بالباب ١٩ من سفر الملوك الثاني الشاهد بأن هذه العبارة مرتبطة بسياق القصة المذكورة ، وبعيدة جدا عن حمل بعض ألفاظها على السيد المسيح .

ثم لا يخفى على كل خبير مطلع أن أقوال العلماء المحققين من المسيحيين واليهود ، مضطربة كثيرا في معنى أقوال رؤيا دانيال النبي بالاصحاح ٧ و ٩ ، التي يستدل بها عامة المسيحيين . إنها نبوءة عن المسيح وما ذهب إليه جمهور مفسري « الببل » ، من أن مصداق ذلك هي حادثة انتيوكس ملك ملوك الروم الذي تسلط على أورشليم قبل ميلاد المسيح بمائة واحد وستين سنة . وقالوا إن المراد بالأيام المعتادة ووافقهم « يوسفيس » المؤرخ ، وعارضهم فريق آخر مثل اسحاق نيوتن ، وطامس نيوتن بقولهم : إن مصداقه سلاطين الروم .

وقال وستل جانسي أحد المفسرين في كتابه المطبوع سنة ١٨٣٨

هكذا : (تعيين زمان مبدأ هذا الخبر في غاية الاشكال عند العلماء من قديم الأيام ، وصمم الأكثر أن مبدأ واحد من الأزمنة الأربعة التي صدر فيها أربع فرامانات من سلاطين إيران الأول) . وقال القسيس يوسف ولف (مبدأ هذا الخبر من زمان وفاة دانيال النبي والمراد بالأيام السنين) وقد كانت وفاة دانيال قبل ميلاد المسيح عليه السلام بأربعمائة وثلاثة وخمسين سنة وإذا طرحت هذه المدة من الألفين وثلثمائة يكون الباقي ألفين وثمانمائة وسبعة وأربعين سنة وعلى ذلك يكون ظهور المسيح في سنة ١٨٤٧ من الميلاد وهذا ظاهر بطلانه ! وقال دوالي ورجردمينت في تفسيره هكذا : (إن تعيين مبدأ هذا الخبر ومنتاه قبل أن يكمل مشكل فاذا كمل يظهره الواقع) .. انتهى .. ولعمري أن هذا الاضطراب والحيرة وعدم امكان العلماء والمحققين في معرفة مبدأ ومنتى هذا الخبر ، كاف في عدم الوثوق بما تأوله غير العلماء في هذا الشأن ! ومع ذلك فإن غاية ما يقصد بالتأويل في هذه العبارة هو رمز للاستدلال على مولد السيد المسيح وظهور شريعته ، ولم يكن في ذلك تصريح بما ينسب إليه من الألوهية والأقنومية

فمولده وبعثه قد شهد بهما القرآن المجيد ولا يجحدهما إلا القوم الظالمون .

أما عن قول حضرتكم بأن من تأمل في ولادة المسيح بغير طبيعة بشرية مع وجود الرجال والنساء وقتها يقر حالاً بألوهيته : (يعنى لولادته بلا أب بخلاف غيره من سائر البشر) فنقول إن نشأة آدم عليه السلام من قبل أن يكون والد ولا مولود ولا أب ولا أم هى أعجب من تولد المسيح من أم بلا أب ونشأة السيدة حواء عليها السلام من بعض أجزاء آدم مع عدم استعداد الرجال في تركيب الخلقه للآتيان بالمواليد كاستعداد النساء التى منهن السيدة مريم فذلك أعجب وأعجب وحدث جميع الكائنات من العدم عجب عجاب !! .

ثم لا يخفى على أحد أن كل سنة تنشأ حشرات في موسم النيل بنزول الأمطار لا يعلم هياتها وأصنافها إلا مبدعها جلت قدرته ، وكل ذلك بلا أب ولا أم فإن كانت الفضلية بمراعاة ذلك فهذه الحشرات على اختلاف أجناسها مشاركة فيها ، ولو نظرنا في نوع الإنسان لعلمنا أن « ملكى صادق » الكاهن الذى هو معاصر لآبراهيم عليه السلام ، كانت نشأته بلا أب ولا أم ولا نسب ولا بداية أيام له ولا نهاية حياة كما هو مصرح بالآية ٣ من الباب ٧ من الرسالة العبرانية وهذا يفوق في النشأة عن المسيح في كونه بلا أم وفي كونه بلا بداية ولا نهاية فسبحان القادر الذى إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون .

فظهر من ذلك أن ولادة المسيح عليه السلام بلا أب لا تكون داعية لنسبة الألوهية إليه ، كما أنها ليست بداعية لنسبتها لمن تولد مثله بلا أب وفاق في كونه بلا أم .

ثم إن الاستدلال على ألوهية السيد المسيح بالمعجزات وخوارق العادات هو في غاية الضعف ، لأن من أعظم المعجزات إحياء الموتى ، ومع قطع النظر عن البحث فيما هو وارد بالإنجيل عن ذلك ، فإن الإنجيل المتعارف الآن ماشهد إلا بإحياء ثلاثة أشخاص من عهد ظهور المسيح ، إلى زمن الصلب . وقد ثبت أن خزيال النبی أحيأ ألوفا من الأموات كما هو مصرح

بالباب ١٧ من سفر الملوك ، وأحيا اليسع عليه السلام ميتا أيضا كما هو مصرح بالباب ٤ من سفر الملوك ، وكانت هذه المعجزة بعد موته كما هو واضح بالباب ١٣ من السفر المذكور ، وأبرأ أبرص أيضا . ولا يخفى على كل ذى إيمان ما لكل نبي ، وولي ، وصالح ، من المعجزات والكرامات التي وهبت لهم .

وحيث أن جميع المعجزات التي صنعها السيد المسيح وغيره من الأنبياء والصالحين ، لا ريب في أنها بقدره الله تعالى وصنعه الظاهر على أيديهم ، لا بقدرتهم ولا بصنعهم كما أخبر بذلك السيد المسيح في عدة مواضع من الأنجيل ، وأظهرها قوله في ذلك للتلاميذ حرصا عليهم من الشك والارتياب فيه ونسبته لغير العبودية المحضة : « لا تعجبوا من مثل هذه الأعمال التي أنا أعملها لأن كلا منكم يعمل عمل الله يعمل هذه الأعمال بل يعمل أعظم منها » . وقوله : (الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا إلا ما ينظر الأب أن يعمل) . وقوله للتلاميذ أيضا (لو كان لكم إيمان قدر حبة خردل لكنتم تقولوا لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم) .

فالقول من مثل المسيح الكامل عليه السلام بأن لا يكون شيء غير ممكن لدى من كان له حبة خردل من إيمان . هذا في غاية الوضاحة بأن ظهور المعجزات على أيدي البشر هو الدليل الأعظم على إخلاص عبوديتهم وقوة إيمانهم بوحداية الله تعالى ، ويبعد كل البعد عن الاستدلال بها على الألوهية ، لأن السيد المسيح لم يقل ذلك إلا وهو يعلم حق العلم بأن العبد متى أخلص وتجرد عن نفسه وتوارى في حسه كان لاهوتيا صرفا مقتدرا على خرق العادات وظهور المعجزات ، كما اقتدر هو وسائر الأنبياء والصالحين عليها بخالص عبوديتهم وقوة إيمانهم عن سائر البشر . وقد أفصح عن ذلك السيد المسيح بقوله : « من وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوت السموات » يعنى من جرد نفسه عن امياله الدنيوية وخصالها الشهوانية يكون هو الأعظم عند الله وذلك بمثابة قوله تعالى بالقرآن الكريم : ﴿ إِن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [سورة الحجرات : الآية رقم ١٣] . فثبت بأقوال السيد المسيح أن

المعجزات التي صنعها هي بقوة إيمانه ، وخالص عبوديته ، وأنها لا تدعو
لنسبة الألوهية إليه ، كما أنها لا تدعو لنسبة الألوهية إلى غيره من ذويها .
وقد برهن ذلك السيد المسيح في عدة مواضع بالإنجيل وأنوارها ،
قوله السابق ذكره القاضي بأن أى عبد له قدر حبة خردل من إيمان لا
يكون شيء غير ممكن لديه .

ثم عن قول حضرتكم بأن ماورد بالقرآن في سورة المائدة من قوله
تعالى ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ . إِنْخ ﴾ (١) هو من أعظم
الدلالات على ألوهية المسيح ، نفيد حضرتكم أن حقيقة الآية الشريفة
القرآنية المحفوظة في صدور الأطفال والرجال والمصاحف هي هكذا :
﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَفْخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي
وَتَرَىءَ الْأَكْْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾ . فتكرار قوله تعالى بإذني هو تأكيد
لكون ذلك الخلق واقعا بقدرته تعالى وتخليقه لا بقدره عيسى وتخليقه ..

وورد في الخبر الصحيح كما نقله الخبر (الخازن في تفسيره) إن بنى
إسرائيل لما تعنتوا على السيد عيسى طلبوا منه أن يخلق لهم طيرا حتى يؤمنوا
به ، فأخذ طينا وصوره كهيفة الخفاش ونفخ فيه ، فكان يطير بين السماء
والأرض بإذن الله مادام الناس ينظرون إليه ، فإذا غاب عن أعينهم سقط
ميتا ليميز الفعل المنسوب للبعد مجازيا على سبيل المعجزة ، عن فعل الخالق
جل شأنه ، وغرَّ سلطانه ، وحيث أن تصوير الطين كهيفة الطير وطيرانه
هو شيء من القائل عنه السيد المسيح : (لا يكون شيء غير ممكن لمن عنده
القليل من الإيمان) وقوة إيمانه وخالص عبوديته عليه السلام لا يجحدهما
إلا القوم الخاسرون ، فهو الأخرى والأولى بصنع المعجزات .

ومن تأمل في المعجزة التي وهبت للسيد موسى عليه السلام بقلب
العصا حية ، وما كان لها من عظيم الأعمال مثل ابتلاعها لجميع ما فعله
السحرة ، وامتناع الزينة ، وفرار فرعون وجنوده من صولتها ، وانغلاق
البحر لهلاكه وقومه بضربتها ، وغير ذلك من الأعمال التي لا يجهلها

(١) سورة المائدة الآية رقم ١١٠ .

عارف ، فلا يتعجب من طيران الهيئة التي صورها المسيح من الطين بإذن الله مع سقوطها ميتة عند غيابها عن أعين المكابرين ، ومع عدم التصريح من المسيح عليه السلام بكونه إلهًا ، أو أقنوم الكلمة أو القوة الناطقة للذات ، أو ما يقرب من صريح ذلك ، وتصريحه في جميع أقواله وأعماله الجليلة بخالص عبوديته لمولاه ، وتكرار تعريفه عن نفسه في جملة مواضع بالإنجيل ، بأنه رسول وأنه لا يفعل شيئًا من نفسه ، وأنه نبي كقوله في إنجيل متى بالآية ٥٧ ص ٢٣ عند تنديدهم على أعماله : (ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته) يشير بذلك إلى نفسه ، وكان عليه الصلاة والسلام لا يرضى أن يصفه أحد بأنه صالح تواضعا منه ، ويقول لا صالح إلا واحد وهو الله . وبرهن كثيرا بأن لفظة ابن الله هي لفظة مجازية تطلق على سائر البشر . ومن ذلك قوله : (لا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد ، وهو الله . ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم المسيح) وقوله : (متى صليتم فقولوا أبانا الذي في السموات . إلخ) . وبذلك ظهر عدم الفرق في معنى البنوة التي تطلق عليه وعلى سائر البشر ، والأنور من ذلك قوله : (إني صاعد لأبي وأبيكم وإلهي وإلهكم) ولم يقل أبى وإلهي بمعنى ، وأبيكم وإلهكم بمعنى آخر بل ساوى نفسه بهم في البنوة والمألوهية ! ولما كان هذا القول منه هو بعد الصلب والموت الذي يقولونه ، ومعلوم أن التكليفات الجسدية تنقطع بعد الموت ، وبذلك لا محل للقول بنسبة أقواله هذه للناسوتية المتحد بها ، خصوصا مع ما هو معلوم لكل ذى بصيرة أن الكلام ليس من خصائص الجسد كما يقال . بل هو بالقوة والارادة والروحانية المنبعثة في الهيكل الجسماني باللطفة الربانية القائم بها الحياة الانسانية ، وما الجسد إلا آلات مركبة بحكمة ربانية تحت سلطان القوة البارزة للنطق وسائر الأعمال المنسوبة للجسد ، وعلى أى حال فلا يتصور وجود مانع يمنع مثل السيد المسيح عن التصريح بالحقائق الربانية والعقائد الدينية ، التي ما أتى عليه السلام إلا لتعريف الخالق بها وتكليفهم بالآيمان لحذ الموت عليها حتى يكونوا مثابين على اتباعها ومدانين على تركها ،

وهو من أكمل العارفين بأن الدين والتدين به لا يكون صحيحا إلا بعد معرفة مايجب الايمان به من جهة الله ورسله الكرام ، ولا يليق أن ينسب لكماله كتم الحقيقة التى عليها مدار نجاة العالم ، وهو يعلم عاقبة الذين لا يعلمونها ولا يفرقون بين المرسل والمرسل ، وبين الإله والمألوه . فبكل ذلك لا مسوغ لتعقل نسبة الألوهية إليه ، بدلالة المعجزات ، ولا بدلالة ولادته بلا أب ، ولا بإطلاق لفظة ابن الله عليه ، لوقوع المعجزات والولادة بلا أب لغيره ، وإطلاق لفظة البنوة على سائر البشر ، ومن تفتن فى معنى قوله للص الذى صلب معه كما يقال : (اليوم تكون معى فى الفردوس) لا يرتاب فى صرافة عبوديته لما ثبت من أن الفردوس والجحيم هما محلان أبديان معدّان لخلود الأتقياء والأشرار من العباد تأبى الصفة الألوهية التحيز بأحدهما ، ويحل شأن الذات الواحدية المنزهة عن الدخول فى معنى (فى) الظرفية من قوله (فى الفردوس معى) ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا .

* * *

كفـ تحريفـا لكتاب الله الذـ لا يأتـه الباطل

أما عن الكلمات التي أوضحتوها حضرتكم قولا بأنها من القرآن وهى (ياأيها المؤمنون أنتم ليس على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل)^(١) وتستدلون بها على عدم حصول تغيير بالكتب المذكورة وأن النسخ الموجودة منها هى مثل التي كانت موجودة قديما فنقول أن حقيقة الألفاظ الواردة بالقرآن المجيد فى هذا الشأن هى : ﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل إليكم من ربكم ﴾^(٢) وحيث حضرتكم قبلتم ما ظننتموه قرآنا لاقامة الحجة به على صحة الكتب المذكورة فصار من مقتضيات العدل أن تقبلوه حقيقة ، ومعنى الآية الشريفة القرآنية كما هو الوارد بالتفسير الصحيحة هو (قل) يعنى يا محمد (يا أهل الكتاب إلخ) لهؤلاء اليهود والنصارى لستم على شيء من الدين الحق المرتضى عند الله ، ولستم على شيء مما تدعون أنكم عليه مما جاءكم به موسى عليه السلام يامعشر اليهود ولا مما جاءكم به عيسى يامعشر النصارى فانكم أحدثتم وغيرتم (حتى تقيموا التوراة والانجيل) يعنى حتى تقيموا أحكامهما بحدودهما والعمل بوفاء العهود والتصديق بمحمد ﷺ واتباع شريعته لأن نعتة وصفته موجودان فيهما كما فى القرآن ﴿ وما أنزل إليكم من ربكم ﴾^(٣) يعنى القرآن لأنهم مأمورون بالإيمان

(١) هذه ليست آية من القرآن .. والحقيقة ستأتى واضحة كقلق الصبح .

(٢) سورة المائدة الآية : ٦٨ .

(٣) سورة المائدة الآية : ٦٨ .

به والعمل بما فيه انتهى^(١) (خازن) .

وحيث ثبت وقوع الاحداث والتغير بالكتب المذكورة بما حققه علماء الطوائف المسيحية ، وبشهادة القرآن المجيد ، فيجب على كل مؤمن رفض ماتأباه عصمة وعفة الأنبياء والرسل الكرام ، مما نسب إليهم بهذه الكتب من الزنى والقتل والسكر والكذب والارتداد عن الايمان ، وعبادة الأصنام !! مثل نسبة السيد ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام للزواج بأخته ابنة أبيه ، ودخول ذلك في حكم الزنى ونسبته للكذب !! ومثل مانسب إلى السيد لوط عليه السلام من أنه سكر حتى فقد شعوره واضطجع معه ابنتيه الاثنتين وحبلتا منه ، وولدت إحداهما أبا المواين ، والثانية ولدت أبا العمانين وأنه قدم ابنته لقومه ، ونسبة داود عليه السلام للزنى والقتل ، أو أن الله أمر أولاده بالزنى في سرارى أبيهم أمام بنى اسرائيل !! (وحاشا أن يأمر الله بالفحشاء) ومثل نسبة السيد يعقوب عليه السلام للكذب ، ونسبة هارون الذى كلمه الله مرارا لصنع العجل وعبادته مع بنى اسرائيل !! ونسبة السيد سليمان عليه السلام للردة في آخر عمره والعبادة للأصنام بترغيب الزوجات !! وأن يهوذا الذى هو من أجداد المسيح باعتبار النسب المتدرج إليه بانجيل متى زنى فى ثمار زوجة ابنه وحبلت وولدت زارح وفارض الملحق بهما ذلك النسب الشريف !! (وهذا مع ما هو وارد بالتوراة من أن أولاد الزنى لا يدخلون فى جماعة الله ، فالعقل لا يسلم بصحته خصوصا مع التعالى فى شأن المسيح عليه السلام ونسبته لدرجة الألوهية) . ومثل أن أحد الأنبياء كذب على نبي آخر وغشه مع التسليم بنبوة الاثنين على أن العصمة هى أول شرط فى صدق النبوة ، ولولاها لم يكن وثوق بما يأتي على أيديهم

(١) أى تفسير الخازن .

من الأوامر والنواهي والأحكام الشرعية ولا يسلم عاقل نسبة مثل هذه الأمور الذميمة للأنبياء عليهم السلام الذين هم صفوة الرحمن من جميع خلقه ، ولا نسبتها لأولادهم الذين غالبهم كان على أثر أعمال النبوة وأحكامها ، ويعز على كل متدين غيور أن يسمح بقبول مثل مانسب إلى راويين ابن سيدنا يعقوب عليه السلام من أنه زنى فى بدهة زوجة أبيه ، وأن أباه علم بذلك ولم يغضب ولم ينكر عليه فعله : (على أنه لا يليق بمقام النبوة التغاضى عن إقامة الحدود الشرعية خصوصا فى مثل هذا الأمر الفظيخ بالنسبة للحمية والغيرة النبوية وورود حكم التوراة برجم كل زان وزانية مطلقا ، وقتل كاشف عورة الأم أو زوجة الأب بل وقتل من أغضب والديه .

وأى سبب يستوجب الغضب أعظم من ذلك القبيخ الذى لا يقبله أحد على نفسه ، ولو كان من شرار الناس المتجاهرين بفعل الرذائل ، ومثل مانسب إلى أمون أحد أولاد سيدنا داود عليه السلام ، من أنه زنى فى أخته ، وأزال بكارتها وكان وصوله إلى غرضه هذا بواسطة الحيلة التى دبرها إليه عمه ، وإن داود عليه السلام بلغه ذلك ولم ينتقم منه ، بل إنه لما قتله ابشالوم أخوه بسبب هذه الحادثة حزن عليه أبوه كل أيام حياته ، وكل عاقل لا يسلم بأن مثل يعقوب الذى أعز الله بنى اسرائيل لأجله وسماهم باسمه ونعته مرارا بلفظ ابنى وبكرى ، ومثل السيد داود عليه السلام الذى هو جد المسيح يخفى عليهم الأحكام الربانية الواردة بالتوراة القاضية بحرق ابنة الكاهن إذا تدنست بالزنى ، ولا ريب فى أن ابنة النبى وزوجته أجل وأشرف من ابنة الكاهن إذا تدنست بالزنى ولا ريب فى أن ابنة النبى وزوجته أجل وأشرف من ابنة الكاهن ، ومثل هؤلاء الأنبياء الغيورين على الدين لا تأخذهم الرأفة فى دين الله ، ولا يليق بهم السكوت على مثل هذه الشناعات خصوصا لما فيها من تدنيس واختلاط الأنساب الطاهرة مع ملاحظتهم لاقتداء العالم بسيرهم ، وحسن أخلاقهم ، وقوة محافظتهم على حدود الله تعالى ، ومثل مانسب لله تعالى بهذه الكتب أيضا من الضعف والجهالة وأنه مضل للأنبياء ، وأنه يندم على ما فعل ويتأوه وينقض الوعد « والعاذ بالله حاشا أن يخلف الله وعده » وأنه أمر أحد الأنبياء بأن

يرقد على جنبه الأيسر وهو شاخص لا يتحرك مدة ثلاثمائة وتسعين يوما ،
ويأكل فيها كعكا بالوزن ، ملطخا ببراز الانسان ، ومع استغاثة النبي
المذكور من هذا الحكم وتضرعه لله خففه عنه باستبداله ببراز الحيوان ،
ولا يقبل العقل بأن الله تعالى يأمر أنبياءه الطاهرين بمثل هذه الأوامر ، أو
أنه يسلب من بعضهم النبوة ثم يردّها إليهم ثانيا ، أو أنه يأمر بعضهم بزواج
امرأة زانية مع ماهره وارد بأحكام التوراة من أن الكاهن لا يتزوج إلا
عذراء ، والنبي طبعاً أزكى وأحرى بالتطهر والعفة من الكاهن .

* * *

للعن الله وأجب الرجم !!

ومثل ماهو منسوب بالكتب المذكورة أيضا إلى عمران أبي موسى عليه السلام من أنه تزوج عمته ، ومع تحريم ذلك بالتوراة ودخول مثل هذا النكاح فى حكم الزنى فيصعب على العقل أن يقبل وقوعه ، فى نسب السيد موسى صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام ، لما فى ذلك من مس نسيه الشريف . وكذا لا يسلم عاقل عنده ذرة من إيمان جواز ماتشير به رسائل وأنجيل الكتب المذكورة من أن السيد المسيح عليه السلام صار ملعونا والعياذ بالله ، كما هو مصرح بذلك فى الآية الثالثة عشرة من الباب الثالث من رسالة بولس الحوارى لأهل غلاطية هكذا : « المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنه من أجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة » وعندنا اطلاق مثل هذا اللفظ شنيع جداً بل لاعن الله واجب الرجم بحكم التوراة ، وَرَجِمَ واحد على هذا الخطأ فى عهد موسى عليه السلام كما هو مصرح به فى الباب الرابع والعشرين من سفر الأحبار ؛ بل ولاعن الأبوين أيضا مستوجب القتل فضلا عن لاعن الله كما هو مصرح فى الباب العشرين من السفر المذكور ، ولا بد أن كل من تفقد مثل هذه الأقوال بالكتب المذكورة وعلم تفصيلات مانسب لله والأنبياء والرسل الكرام من الأمور غير اللائقة بمقام الجلال والكمال ، حتما ينطق ببراءتهم وتخليتهم عن النقائص ، كما ينصفنا على ذلك كل متدين حر الأفكار ، لا تقبل ذمته أن يتغاضى عن الحق أو يخفيه .

كل ما ياباه العقل .. ياباه الشرع !!

ثم فلنرجع : إلى بيان ما ذكرتموه حضرتكم من عدم جواز البحث عن الحقائق الدينية بالعقل ، وأن نتيجة البحث تفضى إلى الضلال والجزم

بعدم وجود إله . فنقول إن كان الدين مستنداً إلى أساس ثابت . وأصل صحيح . من غير أن تلعب به أيدي أولى الغايات الدينية والاعراض السياسية وزيادة الجهلاء ماليس فيه ، وحذف ماكان وارداً به لعله تقتضيه ، وكان عبارة عن النواميس الإلهية التي أنزلت على الأنبياء والمرسلين وأمروا بتبليغ أحكامها ، فهذه تزداد ثبوتاً ووضوحاً عند البحث فيها بالقوة المدركة التي أبدع الله فيها إدراك الحقائق على ما هي عليه . بل لم تخرج الأديان الصحيحة في كافة أحكامها عن موافقة العقل ، ولذلك قال سيدنا ومولانا المصطفى عليه الصلاة والسلام مامعناه : « كل ما يأباه العقل يأباه الشرع » فعلم من هذا أن العقل هو ميزان الصدق وقسطاس الحق لمعرفة ماهية الأحكام الدينية إن كانت صحيحة صادقة أم لا !

ليس فك الاسلام ما يخالف العقل أو الحكمة :

ولهذا لا ترى في أحكام الديانة الإسلامية من النقل ما يأباه العقل ، وإذا وجد في كتاب من الكتب أو رَوَى أحد عنها حكماً أو خبراً غير منطبق على العقل فيحكم الدين الإسلامي برفضه ووضعه !! وأنه مفترى على الشريعة الإسلامية .

ولذلك كنا أفراد الأمة الإسلامية مأمورين بالبحث والتدقيق بمنظار العقل عن كافة الأحكام الدينية للعلم بأنه ليس في ديننا ما يخالف العقل والحكمة ، وأما عدم تجويز البحث في حقائق أحكام الديانة النصرانية ؛ فهو ناشئ عن عدم انطباقها على قانون العقل والحكمة ودستور الطبيعة ، وإلا لما كان فائدة للمنع لأنه إذا أدرك العقل صدق حقيقة الديانة إزداد المرء رسوخاً فيها وإيماناً ؛ لأنه هو الحاكم المطلق على صدق الأحكام وفسادها ، وهو المدرك للخطأ والصواب فيها .

هكذا ما وجدنا عليه آباءنا !!

ولهذا ألف علماء الأمة الإسلامية آلاف المجلدات من الكتب في

صدد البحث والمناظرة مع الحكماء والفلاسفة ، وغيرهم من أهل الكتاب وأهل البدع والزندقة ، ولم يأنفوا في حين من الأحيان ، ولا آن من الآونة من البحث والنظر مع كائن من كان في أحكام الديانة الإسلامية وإثبات صدقها وصحتها بمقياس العقل والحكمة ، حين ما كانت الباباوات والقسس متخذة أحكام الديانة المسيحية سرا من الأسرار ولا تجوز الاباحة به لغيرهم من الأفراد ، وكان الدين لديهم عبارة عما يأمرهم به وينهون عنه ، مع عدم تحويل الحق للنظر والتأمل في حقيقة أو امرهم وحكمة مناهيهم وصدق قصصهم وصحة أمثالهم ، وإذا باحثهم أحد من العلماء أو الحكماء في حقائق أحكام الديانة حكموا عليه بالكفر والزندقة ، أو أمروا بقتله ، وإن لم يقدروا على البطش به وألزمهم الحجة بفساد تلك العقيدة كان آخر دعواهم وغاية جوابهم هذا ما وجدنا عليه آباءنا وذلك بخلاف حال علماء الأمة الإسلامية ، فإنهم لا يؤاخذون السائل مهما كانت نيته ، وعقيدته ، ومهما كانت بغيته وغايته ، ولم يتخذوا الدين سرا من الأسرار المطلسة في خزائن الصدور ؛ بل ترى أفراد الأمة الإسلامية لا يحتاجون في أمورهم الدينية لدلالة راهب أو عالم ، بل قد أمرنا الله بعد أن نعمل بما في القرآن من الأحكام أن نتبع ما يأتينا به الرسول عليه السلام . قال سبحانه ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ولم يقل خذوا دينكم عن العالم الفلاني ، أو الراهب الفلاني ، أو تقليد العالم الفلاني في أمر من الأمور ، أو حكم من الأحكام التي يأتي بها من قبل نفسه دون أصل شرعي ؛ بل كل من كان له المام باللغة العربية وكان قادرا على استبطاء الأحكام من القرآن وأحاديث الرسول الصحيحة ، لا يحتاج في معرفة دينه لارشاد حبر أو قسيس أو عالم كما كان من حال الأئمة المجتهدين .

قيل إذا أخذ ماوجب أسقط ماوجب :

ثم لا يخفى أن الانسان لا يمتاز عن الحيوان إلا بالعقل ، ولا يمكنه إدراك الحقائق أيّا كانت والعلم بها إلا بالعقل ، وقد كانت الأحكام الدينية من الأوامر والمناهى وغير ذلك من أحكام التكليف الشرعية منوطة بالعقل ؛ فلا يكلف غير العاقل بأمر من الأوامر ، ولا يؤاخذ بارتكاب نهى

من المناهى ، إلا إذا كان عاقلاً ، وحيث كان العقل مدار التكليف فى الأحكام ، ففيل إذا أخذ ماوهب أسقط ماوجب ، وإذا تأملنا فى حكمة جعل العقل سبباً للتكليف ، علمنا أنه الوساطة الوحيدة والسبب الأصل فى إدراك الحقائق الدينية والمعانى الدنية ، ولا يقوم الدين إلا به كما لا يعقل وجود ذات واجب الوجود وخالق كل موجود إلا بالعقل ، إذ به يستدل المرء على وجود الخالق بوجود المخلوقات ، ولزوم الصانع بمشاهدة المصنوعات ، وهو المدرك لضرورة حكم التوحيد ووجوب الوحداية حفظاً لنظام العالم ومنعاً للفساد وهو الموقن بأنه : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » فعلم من هذا أنه لا يمكن التدين بدین ، وإدراك حقيقة الأديان وامثال أوامرها واجتباب مناهيها والاقرار بالوحداية ونفى الشرك والعلم بوجود الصانع إلا بالعقل .

ما الحكم عند فساد عقيدة الآباء ؟!

ثم إذا أتينا للبحث فيما استحسنتموه حضرتكم من قول القائل بلزوم بقاء المرء على الدين الذى يولد فيه نقول : هذا إن كان المرء قد أيقن بصحة دين أبيه بحسب عقله وإدراكه ، ولكن إذا تبين له فساد عقيدة آبائه بالصورة التى يأبى عقله قبولها والقول بها ولم يستطع علماء طائفته إزالة الشبهات التى طرأت على عقله بشأن فساد عقيدة آبائه ، فليس من العدل أكرامه جبراً على التسليم بما لا يقبله عقله ، إذ لا فائدة فى الجبر والإكراه ، وإذا اضطر إلى السكوت موافقة وإرضاء لخواطر طائفته ، فيكون مدلساً ومنافقاً ، وذلك من الكبائر التى يأبأها الشرع ويمجها ذو الصدق والمروءة من أول الطبائع السليمة .

ولهذا كان شرط الإيمان الاقرار باللسان والتصديق بالجنان ، ولما كان العقل مناط التكليف كما أوضحنا فلا فائدة فى تكليف المرء بما لا يدركه عقله ، بل يعقل فساداً ويعتقد ضده .

وحيث كانت الهداية الأزلية مقدرة ومقسومة من عالم الأزل في علم الله لمن يشاء من عباده ، وليست موروثة كما أن الشرع يأبى مؤاخذه الآباء بما فعلت الأبناء وبالعكس لقول الله تعالى بالقرآن المجيد ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ (١) وقوله عز وجل: ﴿ كل امرئ بما كسب رهين ﴾ (٢) وقوله بالتوراة في الآية ٢٠ من الباب ٨ لحزقيال النبي : (النفس التي تخطئ فهي تموت ، والابن لا يحمل اثم الأب والأب لا يحمل اثم الابن وعدل العادل يكون له وشر الشرير يقع عليه) فلا يمكننا الزام الولد بعقيدة آباءه إن لم يعتقد صحتها ، ولا بتقليد أعماله إن لم ير حسنها ولو قبلنا تعميم أحكام القاعدة التي ذكرتموها حضركم للزم من ذلك أن نستقبح مخالفة الأنبياء لأبائهم ، وعدم اتباع المسيح عليه السلام لليهود الذين ولد هو بين ظهرانيهم وهم يزعمون أنهم من أهل الكتاب .

فعلم من هذا أن الدين ليس بمال موروث عن الآباء ، بل ما كان متعلقا منه بالعقائد فمداره العقل ، وما كان متعلقا منه بالأعمال فمداره على أعضاء كل إنسان وجوارحه بشخصه ونفسه لا يشاركه أحد فيها ، ولذلك كانت عقيدة زيد لا تنفع ابنه ، وكذلك عقيدة عمرو لا تضر أباه ، وكل نفس « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » . فنتج من هذا أنه لا محل لاستحسان بقاء المرء على دين آباءه مع اعتقاده بطلانه ولا لإلزامه بقبول عقائدهم مع إدراكه فسادها .

ثم إذا نظرنا إلى عدم المساواة بين أفراد العباد من جهة الفقر والغنى ، والنعيم والشقاء ، والشدة والرخاء ، تتمثل لنا الحكمة الربانية والقدرة الصمدانية في ذلك ، إذ كانت العلة الغائبة من خلقه الأكوان معرفة الله تعالى ، ولا يدوم الكون إلا بدوام العالم ، ولا يدوم العالم إلا بالنظام ؛ فلو جعل الله الغنى عاما في كافة الخلق لاستغنى الناس عن السعى والعمل ، وقد فسد نظام الكون وطغى الناس وغنوا في الأرض كما قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ﴾ . فلقد اقتضت الحكمة

(١) سورة الأنعام الآية ١٦٤ .

(٢) والآية في سورة المدثر تقول : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ ٣٨ .

الأزلية جعل الناس صنوفا منهم الغنى ومنهم الفقير ، وحفظ بينهم نسبة المساواة باحتياج الفقير للغنى من جهة المال ، واحتياج الغنى للفقير من جهة الأعمال ، ولولا الفقر لما كابد المزارع آلام الحرث ! ولولا الفقر ما قاسى الحداد شرار النار ! ولولا الفاقة لما كد ذو كد ولا اجتهد ذو حرفة في عمل من الأعمال ! ومع أن الفقر والغنى من عوارض البشر فليسا ممتنعين عن كل شخص ! فكم من غنى يمسى فقيرا ، وكم من فقير يصبح غنيا ! وأنا لا نجد قوة مادية تمنع الفقير من الغنى ! ولا تحفظ الغنى من الفقر ! وكما أن الغنى من شأنه الفقر ، كذلك الفقير من شأنه الغنى ، وكل ذلك وإن كان معلوما ومقدرا في الأزل إلا أن المرء لا يعلم ما قدر له وعليه .

وقد أمر بالسعى والعمل كما قال الله تعالى : ﴿ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ﴾ (١) ولقد حثت كافة الأديان على السعى والعمل والكسب وطلب الرزق والمعيشة وما ورد في ذلك من الآيات والأحاديث لا يخفى على من له الملم باحكام الشريعة المطهرة الإسلامية . ثم إن أسباب الفقر والغنى معلومة لدى كل إنسان فمن قصر في شيء من ذلك فعليه وزره وما ربك بظلام للعبيد .

أكرم العباد عند الله أتقاهم :

ولو فرضنا أن الفقر والغنى مقسومان ومقدران في الأزل ، وموهوبان من خزائن غيب الله لمن يشاء من عباده ، فيلزم العبد أن يشكر الله تعالى على كلا الحالين ، ويعلم أن ما اختاره الله له من أحد الحالين هو محض الخير في حقه إذ كم من غنى قاده غناه إلى التهلكة ، وكم من فقير صانه فقره عنها .

وكما أن الغنى والفقر هما عارضان تتداولهما أيدي البشر ، فلا فرق بين الفقير والغنى عند الله عز وجل . بل إن أكرم العباد عند الله أتقاهم ، ثم إذا كان الإنسان مؤمنا متدينا يرضى بما قسم الله له وقدره عليه ،

(١) سورة الملك : آية رقم ١٥ .

ويشكر الله في حالة الضراء والسراء والفقر والغنى . ثم إن الفقر ينقسم إلى قسمين قسم منه لم يكن عن حرمان أصلى ولا عجز عملى بل منشؤة الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة كترجيح الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء والصلحاء الفقر على الغنى مع قدرتهم على الاثراء ؛ وذلك رغبة منهم في النعيم الأزلى الجزيل ، عن متاع الحياة الدنيوية القليل ، وزهداً في زخرفها وعلماً منهم بأن كل نعيم من نعيم الدنيا إلى زوال ، والاقبال على الله تعالى خير من الاقبال على جمع المال .

سبحانه .. لا يسأل عما يفعل !

وأما الفقر الاضطرابى الذى تبلى به العامة فما كان منه بالقضاء والقدر فله الأجر والعوض على الله تعالى ، وما كان بالعجز والكسل فعليه الوزر وأمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عافاه . والواجب على كل مؤمن فى كل حال الشكر لله الملك المتعال . هذا ماهو من شأن العباد المؤمنين وما ينبغي لهم . وأما من لم يتدين بدين ، ويرى الخير والشر والغنى والفقر رأس ماله ، ونتيجة أعماله ، فليس له حق الشكوى من الله إذ هو المستول عما جنت يده ، وعلى التقديرين لا محل للاعتراض والمطالبة التى أردتموها حضرتكم بشأن نسبة عدم العدل للملك العادل الذى لايسأل عما يفعل جل جلاله وعم نواله وتعالى سلطانه عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

هذا ملاح الآن بالفكر القاصر ، والذهن الفاتر ، من السانحات في شأن ماأوردتموه حضرتكم من عقائد الطائفة المسيحية ، والله الهادى إلى سواء السبيل ، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة وهداهم جميعا . ولكن الله يهدى من يشاء من عباده ، وكل ميسر لما خلق له . والسلام على من اتبع الهدى .

● ● وبعد وصول هذا الرد إلى البطرركخانة والعكوف على دراسته لم تحر جوابا ! وحفظ الموضوع !!

أيوب صبرى بن عبدالله

مناظرة قصيرة حول : فرية صلب المسيح

مناظرة قصيرة جرت بين الشيخ أبى الفضل المالكى المسعودى صاحب كتاب : « المنتخب الجليل من تخجيل من حَرْف الانجيل » حيث يقول : جمعتنى الأقدار الإلهية ، بعالم من علماء الملة النصرانية ، فى مجلس حضره جم غفير ، من كل ناقد بصير ، ومنصف خبير . فدار بينى وبينه الكلام فى شأن صلب المسيح عليه السلام . وكان هو البادىء بالسؤال ، والفتاح لأبواب المناقشة والجدال . حيث قال بعد حديث طويل ، نعرض عن إيراد مخافة التطويل .

العالم النصرانى :

عجبت لكم أيها المسلمون . كيف علينا صلب المسيح تنكرون ؟! مع علمكم بأن اليهود والنصارى أمتان عظيمتان طبقوا مشارق الأرض ومغاربها ، وكلهم يخبر أن المسيح قتل وصلب ، وهم عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب .

والإنجيل أيضا يخبر عن الصلب ، فإذا جوزتم كذبهم ، وكذب مايدعى أنه الانجيل ، وأن مثل هذا الخبر كذب ، وأن مثل هؤلاء يمكن تواطؤهم على الكذب لزم المحال من وجوه ..

أولاً : يتعذر عليكم كون القرآن متواتراً .

ثانياً : أن قاعدة التواتر تُبطل بالكلية ، فإن غاية خبر التواتر أن يصل إلى مثل هذا .

ثالثاً : إنكار الأمور المتواترة جحد للضرورة ، فلا يسمع ، فلو قال

إنسان الخبر عن وجود بغداد ، أو دمشق كذب لم يسمع ذلك منه ، وعدّ خارجاً عن دائرة العقلاء ، وحينئذ يتعين أن القول بالصلب حق ، وأن أخبار القرآن والمسلمين عن عدم ذلك مشكل !! .

الشيخ المسلم :

فقلت له : قد خاب قصدك الذى ترجوه . وكلامك هذا مردود من جملة وجوه ..

أحدها : أن جميع النصارى واليهود على كثرتهم يوردون هذا السؤال وهم لا يعلمون حقيقة التواتر ، ولا شروطه ، وأن فهم ذلك وغيره ، مخصوص بهذه الأمة المحمدية . وأهل الملة الإسلامية ، لشرفها وعلوّ قدرها ، واختصاصها بفهم معاهد العلوم وأزمّتها دون غيرها . وأنا أوضح لك ذلك وأقول : اعلم أن التواتر له شروط .

الشرط الأول : أن يكون الخبر عنه أمراً محسوساً ويدل على اعتبار هذا الشرط أن الأمة العظيمة قد تخبر عن القضايا العقلية وهى باطلة كأخبار المعطلة عن عدم الصانع ، والجسمة عن التجسيم ، والفلاسفة عن قدم العالم مع بطلانه . وسببه أن مجال النظر ، ومحجة العبر ، يكثر فيها وقوع الخطأ ، فلا يثق الإنسان بالخبر عن العقليات حتى ينظر فيجد البرهان القطعى يعضد ذلك الخبر فحينئذ يقطع بصحة ذلك الخبر !!

وأما الأمور المحسوسة من المبصرات ونحوها فشديدة البعد عن الخطأ ، وإنما يقع الجحد من التواطؤ على الكذب ، فإذا كان المخبرون يستحيل تواطؤهم على الكذب حصل القطع بصحة الخبر .

الشرط الثانى : استواء الطرفين والواسطة ، وتحرير هذا الشرط أن المخبرين لما كان يستحيل تواطؤهم على الكذب ، إن كانوا هم المباشرين لذلك الأمر المحسوس ، المخبر عنه ، حصل العلم بخبرهم وإن لم يكن المخبر لنا هو المباشر لذلك الأمر المحسوس ؛ بل ينقلون عن غيرهم أنه أخبرهم بذلك ، فلا بد أن يكون ذلك الغير المباشر عدداً يستحيل تواطؤهم على

الكذب ، فإنه إن لم يكونوا كذلك أمكن الكذب عليه . وهم أصل هؤلاء المخبرون لنا ، فإذا لم نتق بالأصل ، لم نتق بما يتفرع عليه ، فلا يلزم من كون المخبرين لنا يستحيل تواطؤهم على الكذب حصول العلم بخبرهم ، لفساد أصلهم المعتمدين عليه . فيتعين أن يكون الأصل عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب .

فهذا معنى قولنا : استواء الطرفين ، في كونهما عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب شرط . فإن كان المخبر لنا عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب ، وأصلهم الذى ينقلون عنه كذلك ؛ لكن أصلهم لم يباشر ذلك الأمر المحسوس ؛ بل ينقل عن غيره أيضاً . فأصل ذلك الأصل يجب أن يكون عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب أيضاً لما تقدم .

وفي هذه الصورة ، حصل طرفان وواسطة ، فالطرفان : المخبر لنا . والمباشر الأول . والواسطة الذى بينهما . فيجب استواء الطرفين . والواسطة . أو الوسائط إن كثرت في كونهم يستحيل تواطؤهم على الكذب . فيقسم بهذا التحرير التواتر إلى طرف فقط ، أو إلى طرفين بلا واسطة ؛ أو طرفين وواسطة . والثلاثة أقسام مشتركة في هذا الشرط .

إذا تقررت حقيقة التواتر فنقول الخبر بالمحسوس يتعلق بأن هذا مصلوب على هذه الخشبة ، وأما أنه عيسى عليه السلام نفسه ، فهذا لا يفيد الحسن البتة ؛ بل إنما يعلم بقرائن الأحوال إن وجدت ، أو باخبار الأنبياء عليهم السلام عن الله تعالى الذى أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً . والذى يدل على أن الحسن لا يفرق بين المتأثرات ، أن لو وضعنا في إناء رطلا من الماء ، أو الزيت ، أو نحو ذلك ، وأريناه لانسان ، ثم رفعنا ذلك الماء ؛ أو المائع ، ووضعنا فيه رطلا آخر من ذلك المائع ، ثم أريناه لذلك الإنسان ، وقلنا له : هذا الماء غير ذلك الماء الأول . أو مثله ، فإنه إذا أنصف يقول : الذى أدركه بحسنى أن هذا ماء بالضرورة أما أنه غير الأول أو مثله فلا أعلم لكون الحسن لا يحيط بذلك .

هذا في المائعات ، وكذلك كف من تراب ، أو أوراق الأشجار ، أو أنواع الحبوب كالحنطة الواحدة ؛ إذا أخذ منها حفتان ، ونحو ذلك .

وكذلك الحيوانات الوحشية شديدة الالتباس على الحسّ ، إذا اتحد النوع ، واللون ، والسنّ ، والغلط .

وإنما كثرت الفروق في الحيوانات الإنسية وسرّ ذلك أن أسباب النشآت في الوحشية مشتركة كالمياه ، والمراعى ، والبرارى ، . والحيوان الانسى يختلف ذلك فيه بحسب مقتنيه ، اختلافاً كثيراً . فبنشأ بحسب دواعى بنى آدم في السعة والضيق ، وإثارة نوع من العلف على غيره ، والتزام الحيوان أنواعاً من الأعمال والرياضة دون غيرها . فيختلف الحيوان الانسى بحسب ذلك ، ثم يتصل ذلك بالنظر في التوليد ، مضافاً إلى ما يحصل من داعيه مزيته ، فيعظم الاختلاف .

والحيوان الوحشى سلم من جميع ذلك ، فتشابهت أفراد نوعه ، ولا يكاد الحسّ يفرق بين فردين منه البتة ، إذا تقرر أن الحسّ لا سلطان له على الفرق بين المثلين . ولا التمييز بين الشبهين . فيجب أن يكون القطع بكون المصلوب هو عيسى عليه السلام دون شبهه ، أو مثله ليس مدركا بالحسّ ، وإذا لم يكن مدركا بالحسّ ، جاز أن يحرق الله تعالى عادته لعيسى عليه السلام بخلق شبهه في غيره ، كما خرق له العادة في إحياء الموتى وغيره ، ثم يرفعه ، ويصونه ، عن إهانة أعدائه . وهو الخارق لكريم الآيات ، في الاحسان الخاصة أنبيائه وأوليائه .

وإذا جوّز العقل مثل هذا ، مع أن الحسّ لا دخل له في ذلك ، فأخبار القرآن الكريم عن عدم الصلب ، كان سالماً عن كل معارض ، مؤيداً بكل حجة قوية . وقد سقط اعتراضك بالكلية .

ثم اعلم أيها المجادل بغير الحق ، الناطق بما ينافي الصواب والصدق ، أن القوم الذين أنت إليهم منسوب ، ومن أعظم علمائهم معدود ومحسوب ، لما عدموا الحق الذى تألفه القلوب ، وتقبله العقول ، وأصبحوا عن استماعه ، واتباعه ، فى أكبر غفلة ، وأعظم ذهول ، أخذوا يُمنشون ما هم عليه من الضلال . بنوع من الشعوذة ، وأصناف من الخيال .

وأنا أنبهك على أن قومك ليس لهم حظ من النظر القويم . ولا نصيب

من العقل المستقيم . وليسوا أهلاً لسلوك سبل الأنظار العقلية . ولا لبيان المدارك الصحيحة القطعية . حتى أكلفك وإياهم باقامة دليل على صحة دينكم ؛ بل أطالبكم جميعاً بأن تصوروا دينكم تصويراً يقبله العقل ، فإذا صورتموه ، اكتفيت منكم بذلك من غير مطالبتيكم بدليل على صحته ، فلما سمع منى ذلك ، حاول هو في نفسه تصوير دينهم فعجز عنه ، فلما عجز قال : ماكلفنا بهذا ؛ بل كلفنا السيد المسيح بالاعتقاد ، فلا نُلْزَمُ مالا يلزمنا ، وما ليس من ديننا ، فاجنح إلى ماقدمته لك من السكون إلى التقليد ، وعدم النظر فيما يصح ويفسد .

فقلت له : الاعتقاد السليم لا بد فيه من أن يثبت شيئاً لشيء ، أو ينفيه عنه ، فهو مركب من تصويرين ، تصوير المحكوم عليه . وتصوير المحكوم به . وأنتم على ماقلت مكلفون بالاعتقاد ، ومن كلف بمركب ، كلف بمفرداته ، فمن كلف بالاعتقاد كلف بالتصوير ، فأنتم حينئذ مكلفون بالتصوير . فصوّروا دينك ! فانقطع ورأى أنه قد أصيب من مأمنه ، ولزمه السؤال من قوله . فقال : أمهلني ثلاثة أيام حتى اجتمع بابن العسال ، وكان مشهوراً عندهم بالعلم والفضيلة على زعمهم . فذهب ولم يأت بعد . (انتهى) .

* * *

ولنا كلمة :

وكلمتنا بعدما تقدم أن الاسلام هو دين الله الحق ، والعلم والنور والرحمة ، وسبيل النجاة والفوز بالسعادة فى الآخرة والأولى ، قال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ .. ﴿ ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ .. ﴿ ومن يتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ .. وقال سبحانه : ﴿ أفغير دين الله يغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون ﴾ وقال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ وقال عز من قائل : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ﴾ .

ونخلص إلى أن إسلامنا الحنيف ، هو الدين الحق ، والصراط المستقيم ، الذى رضىه الله لعباده ديناً ، وهو دين الفطرة والملة الحنيفية السمحة التى لا نجاة إلا بها ، اعتقاداً وعملماً وعملاً فى كل حين .

ونحن نعلم ونعتقد ونؤمن ونوقن . ونشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، إله عظيم . ملك كبير . لا رب سواه . ولا معبود إلا إياه . قديم أزلى . دائم أبدي . لا ابتداء لأوليته . ولا انتهاء لآخريته . أحد صمد : « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » . لا شبيه له ، ولا نظير « ليس كمثله شئ » وهو السميع البصير . وأنه تعالى مقدس عن الزمان والمكان . وعن مشابهة الأكوان . ولا تحيط به الجهات ولا تعتريه الحادثات . مستو على عرشه ، على الوجه الذى قاله ، وبالمعنى الذى أراده ، استواء يليق بعز جلاله ، وعلو مجده وكبريائه . وأنه تعالى قريب من كل موجود . وهو أقرب للإنسان من جبل الوريد . وعلى كل شئ رقيب

وشهيد ، حَتَّى قيوم . « لا تأخذه سنة ولا نوم » . « بديع السموات والأرض » وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون . « الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل » . وأنه تعالى على كل شيء قدير . وبكل شيء عليم « قد أحاط بكل شيء علماً » وأحصى كل شيء عدداً . « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء » . « يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » . « ويعلم السر وأخفى » . « ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » .

وأنه تعالى مريد للكائنات مدير للحادثات ، وأنه لا يكون كائن من خير أو شر أو نفع ، أو ضرر ، إلا بقضائه ومشيئته . فما شاء الله كان . وما لم يشأ لم يكن ، ولو اجتمع الخلق كلهم على أن يحركوا في الوجود ذرة ، أو يسكنوها دون إرادته تعالى لعجزوا عنه . وأنه تعالى سميع بصير . متكلم بكلام قديم أزلي ، لا يشبه كلام الخلق . وأن القرآن العظيم كلامه القديم . وكتابه المنزل على نبيه ورسوله محمد ﷺ .

وأنه سبحانه الخالق لكل شيء . والرازق والمدير والمتصرف فيه كيف يشاء . ليس له في ملكه منازع . ولا مدافع . يعطي من يشاء . ويمنع من يشاء . ويغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء . « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » .

وأنه تعالى حكيم في فعله ، عدل في قضائه . لا يتصور منه ظلم ولا جور . ولا يجب عليه لأحد حق . ولو أنه سبحانه أهلك جميع خلقه في طرفة عين لم يكن بذلك جائراً عليهم ولا ظالماً لهم . فإنهم ملكه وعبيده ، وله أن يفعل في ملكه ما يشاء ، وما ربك بظلام للعبيد ، يثيب عباده على الطاعات فضلاً وكرماً . ويعاقبهم على المعاصي حكمة وعدلاً .

وأن طاعته واجبة على عباده بإيجابه على السنة أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام .

ونؤمن بكل كتاب أنزله الله ، وبكل رسول أرسله الله . وبلائكة الله تعالى . وبالقدر خيره وشره .

ونشهد أن محمداً عبداً لله ورسوله . أرسله إلى الجن والإنس والعرب والعجم . بالهدى ودين الحق . ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، وأنه بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة . وكشف الغمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وأنه صادق أمين ، مؤيد بالبراهين الصادقة . والمعجزات الخارقة ، وأن الله فرض على العباد تصديقه وطاعته واتباعه ، وأنه لا يقبل إيمان عبد وإن آمن به سبحانه ، حتى يؤمن بمحمد ﷺ وبجميع ما جاء به . وأخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة والبرزخ .

ومن ذلك أن يؤمن بسؤال منكر ونكير للموتى عن التوحيد والدين والنبوة . وأن يؤمن بنعيم القبر لأهل الطاعة ، وبعذابه لأهل المعصية ، وأن يؤمن بالبعث بعد الموت . وبحشر الأجساد والأرواح إلى الله .

وبالوقوف بين يدي الله تعالى ، وبالحساب ، وأن العباد يتفاوتون فيه إلى مسامح ومناقش ، وإلى من يدخل الجنة بغير حساب ، وأن يؤمن بالميزان ، الذى توزن فيه الحسنات والسيئات ، وبالصراف وهو جسر ممدود على متن جهنم . وبحوض نبيينا محمد ﷺ .

الذى يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة ومأؤه من الجنة .

وأن يؤمن بشفاعة الأنبياء ، ثم الصديقين ، والشهداء ، والعلماء والصالحين والمؤمنين ، وأن الشفاعة العظمى مخصوصة بمحمد ﷺ . وأن يؤمن بإخراج من دخل النار من أهل التوحيد ، حتى لا يخلد فيها من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان . وأن أهل الكفر والشرك مخلدون فى النار أبداً الآبدى . « ولا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون » وأن المؤمنين مخلصون فى الجنة أبداً سرمداً . « لا يمسه فيها نصب وما هم منها بمخرجين » .

وأن المؤمنين يرون ربهم فى الجنة بأبصارهم على ما يليق بجلاله ، وقدر كماله ، وأن يعتقد فضل أصحاب رسول الله ﷺ . وترتيبهم . وأنهم عدول

خيار ، أمناء لا يجوز سبهم ولا القدح في أحد منهم . وأن الخليفة الحق بعد رسول الله ﷺ . (أبو بكر الصديق) ثم (عمر الفاروق) ثم (عثمان الشهيد) ثم (علي المرتضى) . رضى الله تعالى عنهم ، وعن أصحاب رسول الله أجمعين . وعن التابعين لهم باحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم برحمتك ، اللهم يأرحم الراحمين .

﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ . صدق الله العظيم

الفقير إلى عفو ربه
أبو بكر عبد الرازق

صور لأصل الكتاب المحقق

ملاحظتهم لاقتداء العالم بسيرهم وحسن أخلاقهم وقوة محافظتهم على حدود الله تعالى ومثل ما نسب الله تعالى بهذه الكتب أضرار من الضعف والجهالة وأنه مضل للاندباء وأنه سديم على ما قبل وبنائوه وبنقض الوعد (والعياذ بالله حاشا أن يخالف الله وعده) وأنه أمر أجد الانبياء بأن يرقد على جنبه الأيسر وهو شاخص لا يتحرك مدة ثلاثمائة سنة - بين يومين وياكل فيها كما كان الوزن كما تلخا ببراز الإنسان، ومع استغاثة النبي المذكور من هذا الخلق ونضره الله خففه عنه - باستبداله ببراز الحيوان ولا يقبل الله - قل بأن الله تعالى يأمر أنبياءه الطاهرين بمثل هذه الأوامر وأنه يسلب من بعضهم النبوة ثم يردّها إليهم - ثم ثانيًا وأنه يأمر بعضهم بزواج امرأة زانية مع ما هو وارد بأحكام التوراة من أن السكاهن لا يتزوج الاعذراء، والنبي طبعًا الزكي وأخرى بالتطهير والعفة من السكاهن - ومثل ما هو منسوب بالكتب المذكورة أيضًا إلى عمران أبي موسى عليه الصلاة والسلام من أنه تزوج عمة له مع تحريم ذلك بالتوراة ودخول مثل هذا الذم كاح في حكم الزنا فيصعب على العقل أن يقبل وقوعه في نسب السيد موسى صاحب البشرية عليه الصلاة والسلام كما في ذلك من من نسبة الشريفة وكذا لا يسلم عاقل عنده ذرة من إيمان جواز ما تشير به رسائل وأنجيل الكتب المذكورة من أن السيد المسيح عليه السلام صار ملعونًا والعياذ بالله كما هو مصرح بذلك في الآية الثالثة عشرة من الباب الثالث من رسالة يوحنا الحواري لأهل غلاطية هكذا (المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة من أجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من عاق على خشبة) وعندنا إطلاق مثل هذا اللفظ شنيع جدًا بل لأن الله واجب الرحمة يحكم التوراة ورحم واحد على هذا الخطأ في عهد موسى عليه السلام كما هو مصرح به في الباب الرابع والعشرين من سفر الأخبار بل ولأعن الأيوين أيضًا مستوجب القتل فضلا عن لأعن الله كما هو مصرح في الباب العشرين من السفر المذكور ولا بد أن كل من تفقه بمثل هذه الأقوال بالكتب المذكورة ولم تفقه ملامت ما نسب لله والانبياء والرسول الكرام من الأمور الغير اللائقة بمقام الجلال والكمال، حتماً ينطق بهراء وتهم تخالفهم عن النقائص كما

ينصفنا على ذلك كل متدين حرا لا يكارلنا تقبل ذمته أن يتقاضى عن الحق أو يخفيه،
(ثم فلنرجع) إلى بيان ما ذكرتموه حضر تكلم من عدم جواز البحث عن الحقائق الدينية
بالعقل، وأن نتيجة البحث تفضي إلى الضلال والجزم بعدم وجوده فنتوّل أن كان
الدين مستنداً إلى أساس ثابت وأصل صحيح من غير أن ناعب به أيدي أولى الغايات
الدينية والأغراض السياسية، وزيادة الجهلاء ما ليس فيه وحذف ما كان وارداً به إلهية
نقتضيه، وكان عبارة عن النواميس الإلهية التي أنزلت على الأنبياء والمرسلين وأمروا
بتبليغ أحكامها، هذه تزداد ثبوتاً ووضوحاً عند البحث فيها بالأنوار المدركة التي أبدع
الله فيها الإدراك الحقائق على ما هي عليه، بل لم تخرج الأديان المحيية في كافة أحكامها
عن موافقة العقل، ولذلك قال سيدنا رسولنا المصطفى عليه الصلاة والسلام ما معناه:
كل ما ياباه العقل ياباه الشرع فلم من هذا أن العقل هو ميزان الصدق وقسطاس الحق
لمعرفة ماهية الأحكام الدينية، كانت صحيحة صادقة أم لا، لهذا الأثرى في أحكام الديانة
الاسلامية من النقل ما ياباه العقل، وإذا وجد في كتاب من الكتب أروى أحدها
حكماً أو خبراً غير منطبق على العقل فيحكم الدين الاسلامي برفضه ووضعه، وأنه
مفترى على الشريعة الاسلامية، ولذلك كنا أفراد الامّة الاسلامية مأمورين بالبحث
والتدقيق بمنظارة العقل عن كافة الأحكام الدينية، لا علم بأنه ليس في ديننا ما يخالف العقل
والحكمة، كوا ما عدم تجويز البحث في حقائق أحكام الديانة النصرانية، فهو ناشئ عن عدم
انطباقها على قانون العقل والحكمة ودستور الطبيعة، كوالا لما كان فائدة للضعف لانه اذا أدرك
العقل صدق حقيقة الديانة ازداد المرء رسوخاً وخافهم لها، لا لأنه هو الحياكم المطلق على صدق
الأحكام وفسادها، وهو المدرك للخطأ والاصواب فيها، كوالا لما كان فائدة للضعف لانه اذا أدرك
آلاف المحدثات من الكتب في صدر البحث والمناظرة مع الحكماء والفلاسفة وغيرهم من
أهل الكتاب وأهل البدع والزندقية، كوالا في حين من الأحيان كوالا أن من الآونة من
البحث والنظر مع كاش من كان في أحكام الديانة الاسلامية واثبات صدقها وصحتها، فباس
العقل والحكمة يتكلم ما كانت الباباوات والقسس متخذة أحكام الديانة المسيحية سر من
الاسرار لا يجوز الاباحة به لغيرهم من الافراد، هو كان الدين لديهم عبارة عما يأمرون به
وينهون عنه، مع عدم تخويل الحق للنظر والتأمل في حقيقة أو امرهم، وحكمة مناهيهم
وصدق قصصهم وصحة أمثالهم، وإذا باحثهم أحد من العلماء والحكماء في حقائق أحكام
الديانة حكماً وعالماً بالكفر والزندقية أو امره بقتله وان لم يقدر راعى البطش به الزمهم
الحجة بفساد تلك العقيدة، كان آخرون دعواهم وغاية جوابهم، هذا ما وجدنا عليه آباءنا، وذلك

بخلاف حال علماء الامة الاسلامية فانهم لا يؤخذون المسائل مهما كانت نيتها وعقيدته ،
ومهما كانت بغية . وغايته ولم يتخذوا الدين سرامن الأسرار المطلقة في خرائطه . وسدورا
بل ترى افراد الامة الاسلامية لا يحتاجون في أمورهم الدينية لدلالة راهب أو عالم بل قد
أمرنا الله بعد أن نعمل بما في القرآن من الأحكام أن نتبع ما ياتينا به الرسول عليه السلام قال
سبحانه وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولم يقل خذوا منكم عن العالم الفلاني ،
أو الراهب الفلاني أو تقليد العالم الفلاني في أمر من الأمور وحكم من الأحكام التي يأتى بها
من قبل نفسه دون أصل شرعي ، بل كل من كان له المصالح باللغة العربية . وكان قادرا على
استنباط الأحكام من القرآن وأحاديث الرسول الصحيحة لا يحتاج في معرفة دينه لارشاد
حبر أو قسيس أو عالم كما كان من حال الائمة المجتهدين .

ثم لا يخفى أن الانسان لا يمتاز عن الحيوان الا بالعقل ولا يمكنه إدراك الحقائق التي كانت والعالم
بها الا بالعقل وقد كانت الأحكام الدينية من الأوامر والمناهي وغير ذلك من أحكام
التكاليف الشرعية منسوبة بالعقل ، فلا يكف غير العقل بأمر من الأوامر ولا يؤخذ
بأمره . كما ينهى من المناهي ، الا اذا كان عاقلا ، وحيث كان العقل من مدار التكاليف في
الأحكام ففيل اذا أخذ ما ذهب أسقط ما وجب . واذا تأملنا في حكمة جعل العقل
سببا للتكاليف علمنا أنه الوسطة الوحيدة والسبب الأصلى في إدراك الحقائق الدينية
والمعاني الدينية . فهو لا يقوم الدين الا به . قل وجود ذات واجب الوجود ووجود خالق كل
موجود الا بالعقل ، اذ به يستدل المرء على وجود الخالق بوجود المخلوقات ولزوم الصانع
عشاهدة المصنوعات وهو المدرك لضرورة حكم التوحيد وجوب الوحدة حفظ النظام
العالم ومنع الفساد وهو الموقن بأن يكون فيه ما آلهة الا الله افسدتا . فعمل من هذا انه
لا يمكن التدين بدون إدراك حقيقة الأديان وامتنال أوامرها واجتناب مناهيها والاقرار
بالوحدة الدينية ونفي الشرك والعلم بوجود الصانع الا بالعقل ، ثم اذا تأملنا البحث فيما
استحسنتموه حضرة .كم من قول القائل يلزم بقاء المرئى على الدين الذى يولد فيه نقول بهذا
إن كان المرء قد ايقن بصحة دين أبيه بحسب عقله وادراكه واكن إذا تبين له فساد عقيدة
آبائه بالصورة التي يأتى عقله بقبولها والقول بهم ولم يستطع علماء طائفة ما زالوا الشكوك
التي طرأت على عقله بشأن فساد عقيدة آبائه فليس من العدل اكرامه جبراً على التليم
بما لا يقبله عقله . لها اذا لفائدة في الجبر والاكرام . واذا اضطر الى السكوت موافقة راره
لما طرط طائفة بما قد يكون مدلساً ومنافقاً وذلك من الكبرياء التي يأبىها الشرع ودها
ذو المصدق والمروءة من أولى الطبائع السليمة . هذا كان شرط الايمان والاقرار بالله ان

والنصديقي بالجنان ، ولما كان العقل مناط التكليف كما أوضحناه فلا فائدة في تكليف
 المرئ بما لا يدركه عقله بل بعقل فسادوه ويعتقد ضده به وحيث كانت الهداية اللازمة مقدرة
 ومقسومة من عالم الازل في علم الله لمن يشاء من عباده وابتست موروثة كما أن الشرع أبى
 مؤاخذه الآباء بما فعلت الأبناء وبالله كس لقول الله تعالى بالقرآن المجيد (ولا ترزوا رزق
 أخرى) وقوله عز وجل (كل امرئ بما كسب رهين) وقوله بالتوراة في الآية ٢٠
 من الباب ٨ لحزقيال النبي : (النفس التي تخطئ فهي غوفوا لابن لا يحمل اسم الأب
 والأب لا يحمل اسم الابن وعدل العادل بكون له وشرا الشر بريقع عليه) فلا يكتفى بالزمام
 الولد بمقيدة آباءه ان لم يعتقد صحتها ولا بتقليد أفعاله ان لم يرحس بها ولوقبلنا لنعلم أحكام
 القاعدية التي ذكرتها حضرتكم لكم للزم من ذلك أن نسبة تنقيح مخالفة الانبياء لا بآبائهم
 وعدم اتباع المسج عليه السلام للبهود الذين ولدوه وبين ظهرانهم وهم يزعمون أنهم من
 أهل الكتاب .

فلم من هذا أن الدين ليس بحال موروثة عن الآباء بل ما كان متعلقا بمنه باله قائل
 قد أراه العقل يوما كان متعلقا بمنه بالأعمال فذاؤه على أعضاء كل انسان وجوارحه بشخصه
 ونفسه لا يشاركه أحد فيها ولذلك كانت عقيدة زيد لا تنفع ابنه ولو كذلك عقيدة عمرو
 لا تضرب أباه وكل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فنتج من هذا أنه لا عمل
 لاس تحسان بقاء المرئ في دين آباءه مع اعتقاد بطلانه ولا لزامه بقبول عقائدهم مع
 ادراكه فسادها .

ثم اذا نظرنا الى عدم المساواة بين أفراد العباد من جهة الفقر والغنى ، وانعيم والشقاء والشدة
 والرخاء فتمثل لنا الحكمة الربانية والقدرة الصمدانية في ذلك ما كانت الدلة الغائية من
 خلقه الا كوان معرفة الله تعالى لا يديم الكون الا بدوام العالم ولا يديم العالم الا بالنظام
 فلم يجمع الله الغنى عاما في كافة الخلق لاسيما غنى الناس عن السعي والعمل لم يوجد فسد
 نظام الكون وطغي الناس وغشوا في الارض كما قال الله تعالى في كتابه العزيز (ولو بسط
 الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) فلهذا فنصت الحكمة الأزلية جعل الناس صنوفا
 منهم الغنى ومنهم الفقير وحفظ بينهم نسبة المساواة باحتياج الغنى لغير الغنى من جهة المال ،
 واحتياج الغنى للفقير من جهة الأعمال ، ولولا الفقر لما كابد المزارع آلام الحرث ولولا
 الفقر ما قاسى الحداد شرارا النارا ولولا الفاقة لما كد ذوك ولا اجتمع ذو حرفة في عمل من
 الاعمال اومع أن الفقر والغنى من عوارض البشر فلا يسامتن عن كل شخص فكم من
 غنى يسمى فقيرا او كم من فقير يصبح غنيا او انما لا نجد قوة مادية تنفع الفقير من الغنى او لا تحفظ

الغنى من الفقر أو كان الغنى من شأنه الفقر، كذلك الفقر من شأنه الغنى، فكل ذلك وإن كان معلوماً ومقدراً في الأزل إلا أن المرء لا يعلم ما قدر له وعليه، وقد أمر بالسعي والعمل كما قال الله تعالى (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) وقد حشيت كافة الأدبان على السعي والعمل والنكسب وطالب الرزق والمعيشة وما ورد في ذلك من الآيات والأحاديث لا يخفى على من له الملمام بأحكام الشريعة المطهرة الإسلامية، ثم إن أسباب الفقر والغنى معلومة لدى كل إنسان فبقصر في شيء من ذلك فعليه وزره وما ربك بظلام للعبيد ولو فرضنا أن الفقر والغنى مقسومان ومقدران في الأزل وهو وبأن من خزان غيب الله لمن يشاء من عباده فيلزم العبد أن يشكر الله تعالى على كلاً من الحالتين، ولم أن ما اختاره الله له من أحدهما الحالتين هو محض الخير في حقه، إذ لكم من غنى تادى غناؤه إلى التهاكك، وكم من فقير صانه فقره عنها، وكان الغنى والفقر معاً عارضان تنداولهما أيدى البشوك لا فرق بين الفقير والغنى عندنا، عز وجل بل إن أكرم العباد عند الله أتقاهم، ثم إذا كان الإنسان مؤمناً متديناً برضى بما قد سم الله له وقدره عليه بموئيد، كذا الله في حالة الضراء والسراء والفقر والغنى، ثم إن الفقيه يقسم إلى قسمين قسم منه لم يكن عن حرمان أصلي ولا عجز على بل منشؤه الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة كترجيح الرسول والانباء عليهم السلام والأولياء والصالحاء، الفقير على الغنى مع قدرتهم على الاتراء، بل ذلك رغبة منهم في النعيم الأزل، الجزيل كمن متاع الحياة الدنيوية القليل، كوز هذا في زخرفها وعلما منهم بأن كل نعيم من نعيم الدنيا إلى زوال والاقبال على الله تعالى خير من الاقبال على جمع المال، وأما الفقير الاضطرابي الذي يتنلى به العامة فما كان منه بالقضاء والتدبر فله الاجر والعوض على الله تعالى يوماً كان بالهجز والكسل فعليه الوزر وأمره إلى الله أن شاء عاقبه وأن شاء عافاه، والواجب على كل مؤمن في كل حال الشكر لله الملك المتعال، وهذا هو من شأن العباد المؤمنين وما ينبغي لهم، وأما من لم يتدين بدين كوبري الخير والشر والغنى والفقر رأس ماله، و نتيجة أعماله، فليس له حق الشكر من الله اذ هو المسؤول عما جنت يده، وكو على التقديرين لا يحمل اللاع تراص والمطالعة التي أردتها، وحضر نكم بشأن نسبة عدم العدل للملك العادل الذي لا يسئله عما يفعل جل جلاله وعم نواله، وتعالى سلطانه عما يقول الظالمون علواً كبيراً

هذا ما لا ح إلا أن بالفكر القاصر والذهن الفاتر، من الساعات في شأن ما أوردته، وحضر نكم من عقائد الطائفة المسيحية، يقول الله الهادي إلى سواء السبيل، وأما شاعر بك الجمل الناس أمة واحدة وهذا هم جميعاً، ولكن الله يهدي من يشاء من عباده، وكل ميسر لما خلق له، والسلام على من اتبع الهدى

أيوب صبري

فهرس الكتاب

الموضوع	الفهرس
●● تقديم	٥
●● من الشك إلى اليقين !!	١١
●● بداية الشك !!	١٢
●● إذا كان أصيبك منهم فاقطعه !!	١٣
●● ترتيل القرآن الكريم سبب الهداية !!	١٣
●● هذا هو الحق وغيره الباطل !!	١٤
●● هل المسيح هو الله ؟! أو ابن الله ؟!	١٥
●● دليلنا على صحة الإسلام مايقبله العقل ويحكم به النقل	١٦
●● بهجة التفريخ بحقيقة السيد المسيح	١٩
●● ردّ البطر كخانة زاد الأمور غموضاً !!	٢٥
●● متى نجد برهانا واضحا على إدعاءاتكم ؟!	٣١
●● ابن عبد الله يطلب إيضاحاً من البطر كخانة المصرية	٣٧
●● البطر كخانة المصرية توضح عقائد أئمة المسيحيين	٣٩
●● مامعنى تعدد الخواص ؟!	٣٩
●● الإيضاح يزيد الأمور تعقيداً !!	٤٠
●● أيوب صبرى بن عبد الله يرد على البطر كخانة	
●● المصرية والقس مغاريوس	٤٧

- كيف يكون الله ثلاثة أقانيم؟! ٥١
- هل الواحد يكون ثلاثة؟! ٥٢
- ليست هناك أدنى علاقة بين المشبه والمشبه به !! ٥٣
- أين كان المسيح ساعة خلق السموات والأرض؟! ٥٥
- العقل لا يجيز احتياج الإله لغيره !! ٥٧
- هل المسيح من الطوائف الثلاث؟! ٥٨
- هل يمكن الجمع بين الأضداد الثلاثة؟! ٥٩
- الكلمة ... كلمة التكوين .. !! ٦٠
- الروح لا يعلم كتبها سوى مبدعها ٦١
- في جميع كتب المسيحيين نصوص على عدم رؤية الله ..
- فكيف يرى عيسى عليه السلام؟! ٦٢
- متى كتبت كتب العهدين القديم والجديد
- بعد ضياعهما؟! ٦٥
- الاجماع على ضرورة الخداع في الدين !! ٦٩
- الشريعة تخرج من صهيون !! ٧٣
- إني أنتقم من أعدائي ٧٥
- هل عيسى ناصري أم لا؟! ٧٦
- أحكام الانجيل الواردة في القرآن الكريم
- لا ينكرها إلا كافر !! ٧٩
- ماهي ترجمة كلمة العذراء؟! ٨٢
- كفى تحريفا لكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل ٩١
- لاعن الله واجب الرجم ٩٥
- كل ما يأباه العقل .. يأباه الشرع !! ٩٥
- ليس في الاسلام ما يخالف العقل أو الحكمة ٩٦

الموضوع	الصفحة
●● هذا ما وجدنا عليه آباءنا !!	٩٦
●● ما الحكم عند فساد عقيدة الآباء ؟	٩٨
●● أكرم العباد عند الله أتقاهم	١٠٠
●● سيحانه .. لا يسأل عما يفعل . ؟	١٠١
●● مناظرة قصيرة حول :	
فرية صلب المسيح !!	١٠٣
●● ولنا كلمة :	١٠٩
●● صور لأصل الكتاب المحقق	١١٣
●● المحتوى	١١٩

تم بحمد الله وتوفيقه

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٢/٨١٤٢

الترقيم الدولي ٨ - ٠٤٥ - ٢١١ - ٩٧٧

دار النضال للطباعة والنشر

٢ - شارع منشأطى شبرا القمامة

الرقم البريدي - ١١٢٣١